احاديث السيد كامل الجادرجي
مع
المرحوم معروف الرصافي

السيد صبحي

ارجو تسجيلها فقد وجدت بعضاً عن الكلمة

لنفسه

٢٢/٢/٩٦٨

نشرت الاحاديث في كتاب

"شعراء العراق المعاصرون"

الجزء الاول -

تأليف الدكتور يوسف عزالدين

عزيزي الدكتور جواد علي،

بناءً على رغبتكم اقدم اليكم نسخة تطابق اصل الاحاديث التي كنتُ قد دونتها اثناء جلسات متفرقة عقدتها مع الشاعر الكبير المرحوم معروف الرصافي في خلال سنة ١٩٤٤ وهي — كما سترون، عند امعان النظر فيها — بحاجة الى التنسيق والى بعض الشروح والتعليقات قبل نشرها. وكنت قد بينت لكم اني لا ازال غير مقتنع بأن نشرها، كما هي، سيكون مقبولاً؛ ولكنني في الوقت ذاته موقن بأن بقاءها مهملة او محتجزة غير جائز، لما فيها من معلومات، ربما كانت فريدة في بابها، مفيدة لمن يريد البحث في مختلف نواحي حياة الرصافي. ولذلك رأيت من واجبي ان اضع هذه الاحاديث بشكلها الخامي تحت امرة المجمع العلمي ليتصرف فيها بحرية تامة، بعد أن ايقنت بانه لا امل لي في القيام بما يلزم لذلك في القريب العاجل ~~[illegible]~~ لانصرافي الى امور تمنعني من اداء هذه المهمة المحببة الى نفسي؛ ولاسيما بعد أن مضى وقت غير قصير على وفاة الشاعر الكبير وبعد أن ظهرت بعض الكتب والابحاث التي تناولت بعض الدراسات عنه وتضمنت مقتطفات من سيرته، اذ كان من الممكن ان تكون هذه الاحاديث مفيدة لتلك الدراسات فيما لو نشرت بشكل ما، عقب وفاته بمدة قصيرة. ولذلك صرت اشعر بضرورة التعجيل بوضع هذه الاحاديث تحت امرة المجمع، فان شاء نشرها بعد تنسيقها، وشرح ما يحتاج منها الى شرح والتعليق على ما يحتاج منها الى تعليق، او نشرها كما هي، وان شاء احتفظ بها ليطلع عليها من يريد الاطلاع من وطنيين واجانب ممن يعنون بدراسة حياة الرصافي بمختلف وجوهها.

وقبل أن ابسط لكم الغاية التي كنت اتوخاها من محادثة الرصافي او محاورته ارى لزاماً عليّ ان اذكر لكم اولاً كيف دونتُ هذه الاحاديث، فاقول: اني كنت قد نقلتها مباشرة عن المرحوم الرصافي عندما كان يتحدث من دون تحفظ، فدونتها حرفياً، على أن اعود فاعرضها عليه في فرصة مناسبة ليعيد النظر فيها، فيرفع منها ما جاء فيها من المعلومات بصورة تفصيلية، وليضيف الابحاث المطلوبة

التي يرى من المفيد اضافتها ، ولكن انشغالي بعد ذلك من جهة وتدهور صحة تدهوراً سريعاً ثم وفاته من جهة اخرى ، حالا دون ذلك ، فبقيت هذه الاحاديث من دون مراجعة . ولهذا حرصت على تثبيتها كما هي . ولابد انكم ستلاحظون فيها هفوات طفيفة تخص قواعد اللغة دونت في حينها ، اما عن سبق لسان من المرحوم الرصافي ، واما عن سهو مني في التدوين ، كما ستلاحظون بعض التقديم والتأخير في تراكيب بعض الجمل . ولو كانت قد اتيحت الفرصة للمرحوم أن يراجع تلك المسودات بنفسه لجلب ذلك انتباهه ، فاعاد كل شيء الى اصله . ولا اظنكم تخالفونني في ان تقديم هذه الاحاديث اليكم ، كما هي ، افضل من محاولة اجراء اي تغيير فيها .

اما الغاية التي دفعتني حينذاك الى تنفيذ الفكرة المشار اليها فقد كانت اوضح من النتيجة التي حصلت عليها : لقد صرت اشعر في السنة الاخيرة من حياة الرصافي ان صحته اخذت تنهار انهياراً سريعاً وان نهايته اصبحت قريبة لا محالة ، فاغرتني بدافع الهواية تسجيل آرائه في الفلسفة والاجتماع والادب ، وغير ذلك مما لم يأت ذكره في شعره ونثره على نمط محاورات يأتي كل شيء فيها على سجية السليقة غير المتكلفة . اما تدوين تاريخ حياته بصورة منظمة تتوخى تعاقب التواريخ والوقائع كما وردتها فلم يكن هو المقصود اولا واخيراً من تلك المحاولة التي قمت بها ؛ وانما كنت اود ان يكون ذلك جزءاً من تلك المحاورات ممزوجاً بقصة حياة الفذة التي كانت — في نظري — تستند الى دعامة اصيلة من دعائم الحياة وهي الحرية التي يتعشقها الرصافي ولا يفتديها باي ثمن ، تلك السجية التي صيرته انساناً يقدر كرامته كل الاعتزاز وجعلته يحتقر المادة كل الاحتقار ، فعاش فقيراً طوال حياته واصبح معدماً في آخر ايامه لا يبالي ملابسه البالية ورثاثة الوضع .

كنت في الواقع اود أن انتزع من تلك الشخصية الفذة اراء طريفة في الحياة وفي علاقات الافراد بعضهم ببعض بصفة عادية ، مجردة من كل اعتبار . وقد شجعني على ما كنت انوي القيام به ما ابداه من رغبة صادقة في مساعدتي

على انجاز هذه المهمة ، فاخذ يزودني - بعد أن فاتحته بالامر - من حين لآخر ويخصص لي الشيء الكثير من وقته ؟ غير أن الصعوبة التي شعرت بها منذ اول محادثة اجريتها معه جعلتني ارضخ للامر الواقع واضطر الى تغيير الاتجاه الذي كنت ابتغي المضي فيه ، فاكتفيت بما يمكن الحصول عليه منه وهو في حالته المتعبة تلك ، اذ سرعان ما شعرت بأن الرجل في حالة مرضية لا تعينه على المحاورات الطويلة وعلى اي نوع من الجدل ، ولذلك قررت ، ونحن في جلستنا الاولى ، ان الاسترسال على الطريقة الجدلية كما جرى في بداية الحديث الاول حول ما اذا كان الصدق من الصفات الموروثة او المكتسبة امر متعب جداً بالنسبة الى رجل مريض لا يجوز اجهاده مطلقاً ، ولاسيما اذا كان الخلاف معه في امثال تلك المواضيع من شأنه ان يتسع .

والحق اني لو كنت منصفاً معه كل الانصاف لما واصلت حتى على تدوين هذه الاحاديث ، ولكن رغبته الخالصة في الاسترسال عليها والفائدة العامة التي كنت اتوخاها من ذلك هما اللتان شجعتاني على ايجاد مبرر لعمل مثل هذا العمل .

وقبل أن اختم كتابي اود ان اعرب لكم عن جزيل شكري وامتناني لحثكم اياي على اخراج هذه المعلومات من حيازتي الخاصة ، اذ طالما شعرت بمسؤولية معنوية كبيرة حيالها كنت اراها محتجزة لدي . والآن فاني اذ اضع هذه المعلومات تحت تصرف معهدكم الموقر اشعر بأني قد القيت عن عاتقي عبئاً لازمني عدة سنوات .

بغداد في ٢٥ تموز (جولاي) ١٩٥١

المخلص
[illegible]
[illegible]

سعادة الدكتور جواد علي المحترم
سكرتير المجمع العلمي العراقي
بغداد

حديث يوم ٢٨ تموز (جولاي) ١٩٤٤

— لا أظنكم تذكرون يا استاذ ان عهد معرفتكم يرجع الى حوالي الـ ٢٥ سنة
حينما كنتم تدرسون قواعد اللغة العربية في مدرسة "الاعدادي الملكي" فانا اذكر
انكم كنتم آنذاك المدرسين هيبة" بالنسبة الينا نحن التلاميذ ، فكنتم تتخطون في صالة
الدرس وكأنكم غارقون في بحر من التفكير. وكان يبدو لي على ما اذكر انكم كنتم
في غير وادينا . واذا كنت لا اتذكر شيئاً" عن الدروس التي تلقيناها منكم فاني
لا انسى ابداً" اهتمامكم وعنايتكم الخاصة بصدق التلاميذ والحقيقة مقتكم للكذب .
فلا انسى ثورتكم في يوم من الايام على احدنا لكذبة بسيطة لا تخرج عن المألوف
في عرف التلاميذ . فخرجتم عن طوركم فصفعتموه صفعة قوية كأن صداها
لا يزال يرن في تلك القاعة . وقد مرت السنوات الطوال وانا اتعقبكم ، فتغير
كل شيء فيكم تغيرت بنيتكم المشيقة الى ضخمة وتغير زيكم من «العلماء» الملالي
— العمامة والجبباب — الى زي «افندي» على آخر طراز ثم الى زي
عربي كما هو الآن . تغيرت كل مظاهركم ، الا شيئاً" واحداً" هو تعصبكم الشديد
ضد الكذب . فاذا سمحتم لي واخبرتموني من الذي غرس في نفسكم هذه
الفضيلة وان شئت نقل هذه العادة او هذا الطبع . لاني اعتقد يا استاذ
ان هذا النوع من الطباع ليس له علاقة بغرائز الانسان وانما تلقن بشتى
الطرق المباشرة وغير المباشرة . اذ لم تكن المدارس في ذلك الحين
عامة فالتربية فيها كانت غير موحدة كما تعلمون . أمن المدرسة ام من
بيتكم الخاصة استلمتم هذا المشعل ، مشعل الصدق . ومن الذي
سلمه لكم ؟

قال الاستاذ :

انا لا اكاد اتذكر في ايام صباي لا في البيت الذي نشأت فيه ولا في
المدرسة ان شخصاً" قد كذب امامي او رأيت عنه سوى ما كنت اسمعه

من الناس اذا تشاتموا يقول احدهم للاخر انت "كذاب" فكنت اشعر بذلك ان الكذب قبيح وممقوت . هذا في ايام صباي وانا دون البلوغ ثم لما قرأنا القرآن في الكتاتيب واخذنا نؤدي احيانا الفروض الدينية كالصوم والصلاة فنتردد الى المساجد لاستماع الوعظ او الخطباء فكان لذلك تأثير في نفوسنا ومع ذلك لم اتذكر شيئا خاصا او مؤثرا خاصا كرهني الكذب سوى اني كنت اشعر عندما اقرأ ما في القرآن او اسمع واعظا كنت اشعر ان الكذب قبيح ولا اتذكر لماذا كنت اعتقد بذلك ولهذا اعتقد ان المسائل الاخلاقية لها ارتباط خاص بالجبلة الانسانية والجبلة لابد أن تكون موروثة عن الاجيال القديمة قد يشذ فرع الشخص الى جد اعلى وقد يجوز ان يكون الشخص كذابا وابوه صادق والعكس بالعكس .

قلت :

الانسان يا استاذ يرث من ابويه بعض الصفات البنيوية ومن دون شك لها علاقة بقوة اعصابه وقابليته للتحمل ومنها ما له علاقة وثيقة بتكون الغدد . فقد يرث الانسان الخوف وبالمعنى الذي قد يرث الضعف في الاعصاب ونقصا بينا في تكوين بعض الغدد التي لها علاقة بالخوف والجرأة . ولكن هذه الصفات بنظره لا تشبه قضية الكذب ، لان الكذب لم يكن منشأه سبب بنيوي او ما الى ذلك من الامور الموروثة ، وانما هنالك امور تخص التربية اكثر من اي شيء آخر ، ولهذا الاعتبار يجب أن نتحرى ذلك في المحيط او البيئة او المدرسة التي نشأتم فيها .

فهل تسمحون لي أن تبينوا شيئا عن نشأتكم ؟

قال الاستاذ :

ولدت في بغداد في بيت يقع في محلة القراغول يدعى بيت جاسم الوائلي الذي هو والد والدتي . اما ابي فكان حسب ما اذكر عريفا في الدرك الذي كان يسمى الجندرمة . ولما كان ابي دائما في الوظيفة كان اتصالي به

قليلاً جداً ، فوالدتي هي التي تربت نشأتي .

— في اية سنة ولدتم ؟

— حسب تذكرة النفوس التي كانت تدعى بـ « العثمانية » اني ولدت في سنة ١٢٩١ هجري وذلك ما كان يدعى بالتاريخ الرومي ولكني اعتقد ان هذا التاريخ مغلوط لاني سمعت من والدتي تقول ان عمري كان تسعة اشهر لما اعلن الجهاد وتقصد بالجهاد حرب الدولة العثمانية مع الروسيا . وهذه الحرب التي ذكرتها والدتي وقعت في سنة ١٢٩٣ كما تعلمون فيكون تولدي الصحيح اما في هذه السنة او في سنة ١٢٩٢ . واعتقد ان الرقم الاخير هو الاصح .

كانت والدتي دائماً تحب أن تراني اذهب الى المدرسة ولا اكلم السابلة الدائم مع ان البيئة التي كنا نعيش فيها لم تكن توحي ذلك لانها كانت بيئة فقراء واصحاب صنائع فاولاد خالي الذين كانوا يعيشون معنا في البيت كانوا صناع في سوق الاحذية « اليمنيات » فارسلتني والدتي الاول مدرسة قريبة من دارنا وكانت القائمة بالتدريس في هذه المدرسة امرأة لا اتذكر اسمها حتى ولا صورتها لاني اسلمت مبكراً جداً الى هذا المكتب واظن الغالب اني كنت في الثالثة من عمري ولا اتذكر اني تعلمت شيئاً في هذا « الكتاب » وبعد ذلك انتقلت الى مدرسة في الحيدرخانة كانت تدعى مدرسة « الملا بايز » وهي بالحقيقة عبارة عن ساحة مسقوفة في جانب من جامع الملا بايز وهو شيخ كبير في رأسه عمامة ونحن التلاميذ مبثوثين في تلك الساحة نجلس على الحصير وفي كل واحد منا كتاب في حجره وكان الملا المذكور كان عاجزاً عن القيام فقد وضع بجنبه قصبة طويلة مثل الرمح وكلما كان يريد تأديب احدنا مد اليه القصبة . وقد تعلمت الحروف الهجائية في تلك المدرسة بكتاب يدعى « جزء يا فتاح » فاكملت هذا الجزء

الذي لم يكن يحتوي على غير الحروف الهجائية ~~[illegible]~~ ثم انتقلت
الى مدرسة في محلة الميدان تدعى مدرسة « منيف افندي » ومنيف
افندي هذا كان موظفاً لدى الحكومة بوظيفة كتابية وكان يأتي كل يوم الى المدرسة
فيطلب الى التلاميذ الذين يكتبون سطراً نموذجياً يدعى بالمشق وهذا السطر
ينقسم الى قسمين قسم بالقلم الثلثي وهو يشتمل على كتابة الحروف الهجائية
والقلم النسخي يشتمل على سطر نموذجي باللغة التركية يمشي عليه التلميذ
حتى يملأ تلك الصحيفة. هذه هي وظيفة منيف افندي في المدرسة
وهناك شخص آخر في المدرسة يدعى السيد احمد وكان اعرجاً
وهو المدرس الدائم في المدرسة فكان هذا يدرسنا القرآن وقد اتممت القرآن
اي ورد ختمته في هذه المدرسة ولما ~~[illegible]~~ انهيتها كان عمري حوالي التسعة
او العشرة سنين او اقل من ذلك. فعلى كل حال كان عمري حينما انهيت
من هذه المدرسة دون العاشرة.

— فهل كان لهذه المدرسة تأثير على شخصكم اي هل تأثرتم
شخصياً بهذه المدرسة ؟

— لم يكن لي اتصال بهذه المدرسة اتصالاً مباشراً لان الذي
كان يدرسني هو احد التلاميذ وهو متقدم علي في الدرس ولا أذكر
اني قرأت شيئاً على السيد احمد مباشرة الا يوم واحد وهو يوم
ختمي للقرآن فجلست امامه والقرآن على الرحلة امامي وقرأت آية
من سورة البقرة وهي الآية الآخرة « وختم الله على قلوبهم » فلما وصلت
الى تعبير « وختم الله على قلوبهم .. » التفت ايادي التلاميذ على رأسي واخذوا منه الطاقية وذهبوا
بها ركضاً الى والدتي اشارة الى اني ختمت القرآن.

ثم ذهبت الى مدرسة الحاج حسن الافغاني الكائنة في مسجد نجم الدين(1)
الواقع اليوم تجاه النادي العسكري الآخر وهذه المدرسة كان فيها
شيء من الانتظام وهي تحتوي على ساحة كبيرة مظللة بالجدران كالسقيفة

---

(1) الصواب نجم الدين السهروردي. (المؤلف)

وفي هذه المدرسة ان التلاميذ لم يكونوا يجلسون على الارض كالمدارس الاخرى ، بل كانوا يجلسون على تخوت خشبية شبيهة بالرحلات « التي تستعمل في المدارس الآن . فكنا جميعاً نجلس على هذه التخوت وكل واحد منا قد وضع القرآن امامه مفتوحاً والحاج حسن يقف امام الصفوف وبيده القرآن ايضاً ويقرأ بصوت عال ونحن نتبعه باصوات عالية ايضاً فالمار بالطريق كان يسمع ضجيج التلاميذ في القراءة الا ان التلاميذ كانوا كلهم يؤدون على لهجة واحدة وبصوت واحد . اما الدرس الثاني في هذه المدرسة فكان الكتابة اذ كان مع الحاج حسن رجل آخر يدعى « الخلفة » وهذا يقوم بتعليمنا الكتابة يكتب لنا سطوراً فيعطي لكل تلميذ سطراً ليشق للكتابة عليه وكان احياناً يملي علينا بعض الكلمات والامثال ونحن نكتبها وبعد الكتابة كان يصحح فرداً فرداً ما كتبناه .

وهذه المدرسة كانت تخرجاً للمدرسة الرشدية العسكرية .

وعلى هذا الاساس تخرجت من هذه المدرسة مع ٢٠ تلميذ تقريباً وذهبنا الى المدرسة الرشدية العسكرية فامتحنونا بالقراءة والكتابة فقط وكان ان نجح وكنت انا من الناجحين فدخلت المدرسة الرشدية وكان عمري حوالى الاحدى عشر سنة تقريباً .

ودخولنا في هذه المدرسة كان بالنسبة الينا حاجة جديدة فالملبس كان يختلف فيها عن المدارس الاهلية كمدرسة الحاج حسن حيث هناك الازياء كانت مختلفة واهلية اما في هذه المدرسة فكانت الازياء موحدة وهي عبارة عن البدلة الافرنجية مع الطربوش .

اما الاحساس الذي غمرنا نحن ووالدي فكان عظيماً اذ ان والدي وجد فرحاً عظيماً لدخولي مدرسة حكومية ولانني اصبحت من الافندية ، وانا ايضاً شعرت بسرور عظيم لهذا التغير في مجرى حياتي وهذه المدرسة كانت تحوي على اربعة صفوف فنحن دخلنا في الصف الاول بطبيعة الحال .

وكان التدريس فيه بسيط فهو عبارة عن قراءة واملاء وكتاب ديني يدعى "علم الحال" وشيء بسيط من الحساب لا يتجاوز الاعمال الاربعة كالجمع والطرح والضرب والتقسيم. وكتاب آخر يقوم مقام القراءة يدعى "اسماء تركية" وفي هذه المدرسة كان التدريس في اللغة التركية واغرب شيء مر علي في هذه المدرسة هو ما شعرت به بعد خروجي من المدرسة من التعجب لنجاحي في صفوف المدرسة الاربعة واجتيازي الامتحانات سنة بعد سنة مع اني كنت اجهل اللغة التركية الا شيئاً قليلاً منها فكنت اتعجب من نجاحي ولكنني كنت ازيل هذا التعجب لاني كنت احفظ الدروس واجتاز الامتحان حفظاً فكان النجاح يستند الى الحفظ لا الى الفهم.

وكنت امقت هذه المدرسة مقتاً شديداً لانها كانت تابعة الى نظام شديد كل الشدة فالتلميذ لم يكن من ان يشغل نفسه بشيء خارج عن الدرس مطلقاً وهذا النظام لم آلفه في المدارس الاهلية السابقة والحقيقة كان احد المعلمين وهو يدعى سعيد العزاوي فكان شديداً جداً فكان يضربني ضرباً مبرحاً فلهذه الاسباب كنا نحن التلاميذ نفرح فرحاً لا مثيل له عند خروجنا يوم الخميس من المدرسة لاننا لا نعود اليها في الغد كما اننا كنا نشعر بغم وحزن مساء الجمعة لاننا كنا نقبل على السبت الذي فيه نذهب الى المدرسة.

حديث يوم ٥ آب (اغسطس) ١٩٤٤

وقد سقطت في الصف الثالث من هذه المدرسة وقد رسبت في درس الحساب ذلك العلم الذي لم اتعلمه حتى الآن ولهذا السبب خرجت من المدرسة المذكورة فالتحقت باحدى المدارس الاهلية وكانت تقع في الجامع وهي مدرسة الحيدرخانة التي كان يقوم بتدريسها شكري افندي الالوسي . اما كيف التحقت بهذه المدرسة وهي التي ابتدي

الا فلا اتذكر ذلك مطلقاً . وعندما دخلت في هذه المدرسة كان عمري حوالي الـ ١٢ سنة ولم اكن اعرف من اللغة العربية شيئاً عدا قراءة القرآن الذي تعلمته في الكتاتيب . وقد تركت الزي القديم اي زي « الافندية » ولبست العمامة والعباءة حسب ما كان يتطلب الوضع آنذاك واول كتاب درسته في هذه المدرسة هو كتاب « الاجرومية » وقد احالني الاستاذ شكري ~~الالوسي~~ الى تلميذ متقدم لتدريسي هذا الكتاب وبعد اتمام هذا الكتاب كان يوجد شرح يسمى شرح خالد فهذا ايضاً بدأت بدراسته على ذلك التلميذ (والذي لم اذكر اسمه) وبعد مدة قليلة اخذ شكري افندي نفسه يدرسني باشرة . ولما اتممت هذا الكتاب صرت اشعر أن شكري افندي اخذ يعطي لي اعتناءاً خاصاً لما صرت اقرأ عليه كتاب « قطر الندى » لابن هشام وهذا الكتاب فيه متن وشرح وكان التلميذ الذي يدرسه يجب عليه أن يحفظ متنه وكنت احفظ متن هذا الكتاب ولم اتعلم مبادىء العربية الا عن طريق هذا الكتاب واني ارى الآن ان هذا الكتاب هو احسن كتاب يبدأ به لتعلم النحو وذلك الاجرومية . وكان شكري افندي الالوسي يستبقيني فيؤخرني عن بقية التلاميذ وذلك لغاية التطويل معي في الدرس والاعتناء بي اعتناءاً خاصاً وكان قبل البدء في الدرس يأمرني بقراءة الدرس السابق على الحفظ وكان يعتني بتفهيمي رغم كونه عصبي المزاج وقد كان يكرر علي الدرس عندما يستعصي علي فهمه . ولما انتهيت من هذا الكتاب كانت العادة الجارية في المدارس هي أن يقرأوا « شرح الفاكهي » لمتن قطر الندى وبعد الفاكهي يدرسون الفية ابن مالك . اما انا فلم اتقيد بذلك بل بدأت رأساً بالفية ابن مالك وكان ذلك بموافقة شكري افندي وكان يتشدد علي في حفظ الالفية اكثر من قطر الندى وكنت اداوم احفظ الدرس جيداً يمتنع عن تدريسي في ذلك اليوم . وكان شكري افندي يعطي بعض كتب الشواهد في اثناء درس الالفية للمطالعة ولزوم الشواهد التي

ترد في السيوطي وبهذا السبب صرت احفظ انا من الشعر الرديء شيئاً كثيراً بهذه الواسطة حتى ان شكري افندي قال مرة وهو كان يدرس احد التلاميذ وصادف ان تكلم عن بيت من الشعر من ابيات الشواهد فاتفق ان سماني شخيصاً « الشواهد » وكان يقصد بذلك انتباهي لهذه الاشياء اذ كان قد سألني عن بيت من الشعر جاء في الشواهد وعمّا قبل من ابيات وعمّا بعده وعن قائله فاجبت جواباً صحيحاً وكان هذا الحد مني في الدرس يشجع الاستاذ الالوسي في مثابرته على الاعتناء بي وقد اصبح معجباً بي وهذا ما كان يشجعني على مثابرة الدرس والتدقيق به. وما زلت اصواك احفظ نصف الالفية حتى صرت اقلد ابيات الالفية فانظم ابياتاً من الرجز مثلها.

ملاحظة :

بعد انتهاء الاستاذ الرصافي من هذا الحديث رأيت أن اوجه اليه بعض الاسئلة استيضاحاً لما كان قد جاء في الحديث السابق الذي جرى في يوم ٢٨ تموز ١٩٤٤ .

لقد سألته عن اسم ابيه واسم امه فقال : ان اسم ابيه عبد الغني محمود واسم امه فاطمة بنت جاسم القراغولي وهو عربية الاصل . اما والده فكردي الاصل من عشيرة الجبارية التي تسكن ما بين كركوك والسليمانية والاستاذ معروف الرصافي لا يعرف اللغة الكردية مطلقاً وهو كان يقول كثير الشبه بوالدته لا بابيه . وقد توفيت في اثناء الحرب العامة الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ وكانت امرأة فاضلة الهمة تربيته بنفسها تسمت لها الطرف وكانت شفيقة عليه كثيراً وكان ذواقه يشتهي كلما وكانت صادقة الطبع فلا تقصد ثرثارة

وكلما مايذكر الاستاذ ان اهل المحلة كانوا يتخذونها كحكم في امورهم فيدعونها بام معروف . ولا يذكر انها كانت متذمرة في حياتها مع ابيه

كانت فقيرة. وكانت محترمة حتى ان اختها الكبرة تحترمها جداً.
اما علاقة الاستاذ الصافي بوالده فكانت ضئيلة جداً ولذلك لم يكن يحب والده الذي كانت فيه حدة في الطبع وكان متديناً جداً. ولما كان الاستاذ معروف صغيراً كان يغضب عندما يقال له انك كردي وكان في ذلك يبكي احياناً. X

وقد توفي والده قبل الحرب العامة الماضية ومن المحقق انه توفي قبل والدته (ام والدة الاستاذ الصافي) فلم يعمّر بمدة قليلة. وقد عاشت حوالي السبعين سنة. واما والدته (ام والدة الاستاذ الصافي) فلم تعمر كثيراً بل كانت تناهز الستين عندما توفيت.
وقال الاستاذ انه لما كان فقيراً فقد كان يشعر بضنك العيش فصادف احياناً ان طعامه لم يكن غير الخبز والخيار.

ك. ح.

X ؟؟ كيف يفسر هذا ؟

حديث يوم ١١ آب (اغسطس) ١٩٤٤

اني وان كنت في اول الامر ادرس في الحيدرخانة على الالوسي ، غير اني كنت (٢)
اسكن في غرفة من غرف جامع الخاتون في غرفة فوقانية المسمى جامع نازندة
خاتون وقد وقع في هذه الغرفة حريقاً وهذا ما سبب انتقالي الى جامع
الحيدرخانة . وكنت قد قمت في يوم من الايام للذهاب الى الدرس في جامع الحيدرخانة
وبينما انا في الدرس أُخبرت بأن الغرفة التي كنت اسكن في جامع الخاتون
قد احترقت فذهبت حالاً ووجدتها محترقة وكان لي فيها بعض الكتب وكان يوجد
فيها كتباً تعود الى السيد شكري الالوسي . اما وقوع الحريق في هذه الغرفة
فقد اوقعه المدرس في ذلك الجامع المدعو جعفر افندي الواعظ (٤) وهذا المدرس
كان يتضايق من وجودي لانه كان يتصل ببعض الغلمان الذين يترددون عليه . ومن
جملة الاشياء التي احترقت دفتر يحتوي على اوائل شعري التي لا اذكر منها شيئاً
مطلقاً . وكان من جملة الاشياء التي احترقت كتاباً يعود الى شكري
افندي وهو كتاب الشواهد وبعد هذه الحادثة انتقلت الى جامع الحيدرخانة
واخذت هناك غرفة للسكنى فصرت ادرس في جامع الحيدرخانة واسكن
فيه في الوقت نفسه . اما في هذا الجامع فلم اقض اكثر الليالي فيه بل اذهب
الى دارنا وهناك ابات في دار والدي لان غرف جامع الحيدرخانة لم تكن
صحية كما كانت غرفتي في جامع الخاتون .

وقبل أن انتهي من دراسة الالفية باشرت بدراسة كتاب (مغني اللبيب) على
الشيخ عباس القصاب في جامع الشيخ صندل في باب الشيخ وكنت
اواصل الدرس في الوقت عينه لدى الاستاذ شكري افندي الالوسي وهو كتاب
السيوطي . وفي الوقت عينه ايضاً كنت ادرس بعض كتب الفقه عند عبد الوهاب
افندي النائب في جامع الخاتون الكبير الواقع في محلة عباس افندي او قنبر علي
وكنت متصلاً بشكري افندي اكثر من جميع هؤلاء المدرسين وكنت ملازماً له

؟؟

باتصالي به في الجامع بل كنت اذهب الى داره واجلس
في أكثر أوقاته فلم أكتف مع الجالسين في مجلسه. أما اتصالي ببقية
المدرسين فكان في وقت الدرس فقط.

— من أي مدرس استفدتم أكثر من غيره؟

— من شكري أفندي الآلوسي طبعاً لأنه كان يعطيني كل فرصة لأجل
الاستفادة منه فلم يكن يضجر من سؤالاتي واستفهاماتي المتكررة.
والحق كان شكري أفندي من المتضلعين في العلوم العربية من صرف ونحو وبلاغة
وبيان وعروض وغير ذلك من العلوم العربية.

— فهل استفدتم منه في نظم الشعر؟

— لم استفد منه في النظم لأنه لم يكن يعرف الموزون من غير الموزون(١)
غير أنه كان يشجعني على الشعر حتى أذكر يوماً كنت قد نظمت مقطوعة صغيرة
في مدحه ولكني لم أذكر فيها اسمه ولما أنشدته إياها سر بها وصار يبين لي
طريقة الشعراء في ذكر اسم الممدوح وأورد لي أمثلة من الشعر مما
يسمى بحسن التخلص.

— من الذي حبب اليكم الشعر؟

— لا أذكر أن شخصاً في بداية الأمر حبب لي الشعر وقد سبق
أن قلت لكم بأني بدأت بالنظم بتقليد الألفية في نظم بعض الأبيات من الرجز
وكان عمري حينئذ لا يتجاوز الـ ١٥ سنة وقد بقيت مدة من الزمن
أنظم الشعر لا أقصد في إظهاره على الناس ولكن بعد سنتين أو ثلاث
أو أكثر قليلاً عندما بلغ عمري حوالى ١٨ عاماً صرت أنظم بعض القصائد
وكنت أعجبها فصرت أطلع الناس عليها من أصدقائي ولم يكن بينهم من هو
أكثر مني فهماً للشعر. وكانت هذه القصائد فيها الشيء [illegible] من المديح للأصدقاء
ومنها غزل ومنها مقطوعات أخرى ويوجد في ديواني الأخير بعض هذه المقطوعات
وأذكر منها من الغزل كالمقطوعة التي تبدأ في:

أسمعي لي قبل الرحيل كلاما   ودعيني أموت فيك غراما

(١) كيف يمكن هذا؟ وهل يمكن [illegible] الموزون من غير الموزون؟ [illegible]
[illegible] الشعر [illegible] الموزون وغير الموزون؟
[illegible]
[illegible]

— اي شعر كنتم تفضلون مطالعته او دراسته في تلك الايام ؟

— كنت الازم ديواني اثنين المتنبي والمعري واقصد اللزوميات من المعري واذكر شيئاً غريباً في هذا الصدد . اذ مع ان ديوان المتنبي المطبوع كان لدي اخذت استنسخه بخطي ولا اتذكر باني اكملته . اما لماذا قمت بهذا العمل فلا اكاد اذكر بالضبط . والراجح انه كان لشدة اعجابي به . وكنت آخذ من شكري افندي بعض الكتب فاخذت منه خزانة الادب الكبرى والعقد الفريد وغيرها من الكتب فاقرأها واعيدها اليه بعد قراءتها وكنت انتفع من مكتبة شكري اذ انني لا املك كتباً .

— من الذي كنتم تعرضون شعركم عليه للنقد ؟

— كنت اقرأ للسيد شكري افندي بعض شعري وكان يرشدني من حيث اللغة والاعراب ونحو ذلك .

اما الاخرون الذين كنت اقرأ شعري عليهم فكانوا اقل شيء من حيث اللغة لذلك لم اكن استفيد منهم . ومما اود ان اذكره حادثة طريفة وقعت لي مع مسعود افندي اخ شكري افندي الالوسي . كنت اتصل به دائماً لانه كان يصلي الجامع قبلي . وفي يوم من الايام قرأت عليه بيتاً من الشعر فاعجب به وكتبه وبعد كتابته سألني من قاله فلما قلت له انا الذي نظمته اخذ ورقته ومزق الورقة ورماها في الارض فتأثرت كثيراً من هذا الحادث ولكني لم اظهر له تأثري . وبعد ايام نظمت بعض الابيات فقرأتها عليه وقلت له هذا من شعر المتنبي فاعجب بها وكتبها وعند ذلك اخبرته انها لي فلم يقل شيئاً . فقلت هذه الجملة التي لا انساها مطلقاً : (انتم ممن يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق) وكنت في هذا الدور في سن تجاوزت فيه العشرين عاماً وهكذا استمرت بي الدراسة حتى سن الثالثة والعشرين ادرس العلوم العربية التي تقرأ في المدارس الدينية وبعد ذلك اخذت ادرس

العلوم الآتية : الصرف والنحو والبلاغة والبيان والعروض وكتب العقائد
والكلام واصول الفقه والحساب ايضاً في المدارس الدينية . وبعد أن اكملت
دروسي في المدارس الدينية* وتجاوز عمري حسب ما اذكر الـ ٢٥ عاماً عينت
معلماً لاول مرة في مدرسة الراشدية وهي قرية تقع شمالي بغداد
على بعد عشرة كيلومترات من بغداد فبقيت هناك سنة واحدة تقريباً
ثم عينت معلماً ثانياً في مدرسة ابتدائية تدعى مدرسة جامع علي افندي
وبعد أن بقيت في هذه المدرسة اقل من سنة شغرت معلمية
في مندلي فقدمت امتحاناً فنجحت ولكن كان من جملة الطالبين بها شخص
من سكان مندلي فعين نتيجة التوسط ولكن الوالي لم يشأ أن يحرمني
من وظيفة مماثلة لها فامر مدير المعارف ان يجد لي محلاً فاقترح تعييني
معلماً للغة العربية في مدرسة الاعدادي الملكي فعينت بتلك
الوظيفة وكان ذلك حوالي ثلاث سنوات قبل الانقلاب العثماني .
وتعييني في هذه المدرسة يعتبر حياة جديدة بالنسبة لي لاني صرت
اختلط مع الناس بينما كنت منعزلاً في الجامع وفي تلك الاثناء كنت
احلق لدى حلاق يدعى (حسون) كان حانوته بالقرب من جامع الحيدرخانة
وكنت اجلس عنده احياناً وهناك تعارفت مع شخص يدعى محمد البهلوان
وهو ضابط عسكري فكان يسكر في بعض الاحيان . وقد كلفني في يوم
من الايام ان اشرب معه فقبلت التكليف ولكن لما تعالى معي الى داره ذهبت
معه وانتظرته في الطريق فاخرج لي قدحاً بحجة انه قدح ماء وناولني اياه
فشربته مرة واحدة في قارعة الطريق . وكنت اتردد في تلك الايام
دار مراد بك بن سليمان بك فذهبت في ذلك اليوم واخبرته
وهذه لاول مرة شربت الخمر ولكن بأية حالة ؟! في قارعة الطريق !
وبعد أن صرت اعلم في مدرسة الاعدادي الملكي تعارفت
مع معلم التاريخ المدعو نعمان افندي وفي دار هذا الشخص شربت الخمر

لاول مرة بصورة منتظمة.

وفي هذه الفترة من تاريخ حياتي التي قضيتها في التدريس في الاعدادية المركزية وفي الاعدادية الثلاث سنوات صرت ابعث قطعاً من شعري الى مجلة «المقتبس» التي كانت تصدر في دمشق لصاحبها محمد كرد علي وكان يحرر في جريدة المؤيد اليومية ايضاً فصرت انا والاستاذ جميل صدقي الزهاوي نرسل قطعاً من شعرنا فتنشرها المجلة. وفي بعض الاحيان في جريدة المؤيد للشيخ علي يوسف ايضاً.

ويظهر ان الاستاذ كرد علي كان معجباً بشعري فنشر قصيدتي بمحل بارز من مجلته بعنوان «اكبر الشعر» وكانت المقطوعة «اليتيم في العيد» ويظهر ان الزهاوي اغتاظ من ذلك فبدء العداء من هذا النشر انقطع عني وصار لايكلمني ولايواجهني مدة من الزمن.

—— هل تأثرتم بشعر الزهاوي بوقته ؟

—— لم اتأثر بشعر الزهاوي مطلقاً لاني لم اكن ارتضيه وكنت اجد في شعره بعض الاغلاط النحوية واللغوية وكنت انبهه الى ذلك. وكانت هذه القصائد تصل الى امريكا في ذلك الوقت. وكان في امريكا جريدة لصاحبها نعوم البعلبكي اللبناني وكان ينقل هذه القصائد وينشرها في (المناظر) جريدته فكتب يوماً مقالاً قال فيه ان معروف الرصافي اسم مستعار لا اسماً حقيقياً واورد ادلة على ذلك منها انه لايمكن في البلاد العثمانية ان يقدم رجل وينشر هذه القصائد ولاتهتم الحكومة بشأنه ولاتتعرض له بشيء. فكتب محمد كرد علي كتاباً خاصاً الى صاحب المناظر يقول فيه انك مخطئ لان معروف الرصافي رجل حقيقي ولنا معه مكاتبات وهو في بغداد. فنشر البعلبكي هذا الكتاب في جريدته وعلق عليه بأنا لانسلم لمحمد كرد علي بهذا القول مالم ينقض الدليل الذي اقمناه على ادعائنا. فكرد علي ارسل الي هذه ~~القطعة~~ القطعة

فكتب الآن أنت يا فلان أترك هذا الرجل وما يقول لأن الرجل يخدمنا من هذه الناحية لماذا نبه الحكومة على أن هذا الاسم حقيقي فهذا أقرب اضطهادنا ثم كتب كرد علي مقالاً اقتصادياً في جريدة المؤيد تكلم فيه أولاً عني ثم عن الزهاوي ما أغاظ الزهاوي من ذلك أيضاً وأخذ يجادلني ثم انقطع عن الكلام معي مدة تقارب الستة أشهر.

وبمناسبة ذكر الزهاوي وصلته معي أذكر لكم وقعة وإن كانت متأخرة إلا أنها حدثت في ذلك الوقت وكانت الوقعة حوالي سنة ١٩٢٥ أخذ يتكلم عني الزهاوي في كثير من المجالس بأني أجهل العلوم العصرية وهذا الكلام كان ينقل إلي فكنت أقول لهؤلاء الناس أنا والزهاوي قد تخرجنا من مدرسة واحدة وهي المدارس ~~العلمية~~ العلمية الدينية التي كانت موجودة في بغداد ولم يكن غيرها وحينئذ فإذا كان هو قد تعلم العلوم العصرية من المجلات كالمقتطف وغيرها فأنا أيضاً أطالع هذه المجلات فما الفرق بيني وبينه ؟

ثم لما تمادى على هذا الكلام في مجالسه أجبته بهذه الأبيات :

قل للزهاوي أنا كنت لاقيه
مقالة كان منها بادي الحذر
لقد بلعت علوم العصر قاطبة
بلعاً تضيق به بالوعة القذر
وكان بلعكها في مدة قصرت
مما يسابق لحظ العين من نظر
كتبت أسماء هاتيك العلوم على
ما قد من قشب نزراً من الحجر
ثم اغتذيت ببول العير تمغله
ثم احتقنت بذاك البول من دبر

فصرت علامة الدنيا وواحدها
وصرت في كل علم جد مقتدر
وتلك معجزة في طي مخزية
لم يعطها قط الا انت من بشر
فان اتيت بدعوى العلم فارغة
فما اتيت بشيء غير منتظر (١)

حديث يوم ٢٥ آب (اغسطس) ١٩٤٤

قال الاستاذ انه فاتني ان اذكر لكم نبذة عن تاريخ حياتي في جامع الخاتون . كنت متدينا" جدا" وكثيرا ما كنت اترك غرفتي وانزل الى المصلى ليلا وابقى اصلي في بعض الاحيان طوال الليل وكانت تعتريني حالات غريبة فابكي بكاءا" متواصلا" بعد الصلاة . وهنا اود أن اشير الى طرف من حياتي ومناسباتي مع الاشخاص هنالك كان يوجد شخص يدعى مخلص بك (٢) وظيفته طابور اغاسي وهو ضابط جندرمة (درك) وكان له ولد يسمى رؤوف وكان موظفا" في دائرة وكان هذا الشاب متدينا" للغاية فكان يتردد كثيرا" الى الجامع وبهذه المناسبة حصلت بيننا صداقة قوية صرت اتردد كثيرا" الى دارهم التي هي بالقرب من الجامع وهذه الصداقة جعلت ان مخلص بك يعطف على والدي فرقاه من رتبة (اونباشي) نائب عريف الى عريف . وقد زرت سجن بغداد يومئذ بواسطة رؤوف وهذه الزيارة اثرت علي تأثيرا" كبيرا" وهذه الزيارة هي التي الهمتني قصيدة (السجن في بغداد) التي هي تصوير حقيقة ما شاهدته في السجن واذكر لكم نبذة عن حياتي في جامع الخاتون . كانت توجد دار مقابل جامع الخاتون تدعى دار حنوف (٣) . وحنوف هذه كانت امرأة مشتبه بها وكان يوجد ضابط في هذه العائلة كان متدينا" وكان يتردد الى الجامع

---

(١) هل يليق نشر شيء من هذا النظم [illegible] ؟
(٢) [illegible] حنوف [illegible] ؟

فحصلت بيننا صداقة قوية وكان هذا الشاب جميل جداً فصرت احبه حباً جماً
وصرت احبه بدرجة العبادة وكان هذا الشاب بحري وكنت احبه بدرجة
لما ذهب الى البصرة بوظيفة لحقت به بالبصرة في اواسط الصيف ولما ذهبت
الى البصرة لم اجده فقيل انه في قرية « ام الرصاص » التي تقابل المحمرة
فذهبت هناك ووجدته مريضاً وقد اوصاه الطبيب الا يشرب من ماء
الدجلة بل يشرب من ماء نهر كارون فذهبت بمشحوف الى نهر كارون
ولما اردنا اخذ الماء من النهر لايصاله الى (حامد) انقلب بنا المشحوف
وكدنا أن نغرق هناك. ثم رجع حامد الى ابي الخصيب وذهبت معه وبقيت
معه ~~[illegible]~~ عدة ايام ولما ابل من مرضه ذهبت الى البصرة وبعد أن مكثت مدة قصيرة في
البصرة عدت الى بغداد وانقطعت الصلة بيني وبين حامد واخذ ذلك الحب المتقد اخذ
شيئاً فشيئاً.

حديث يوم ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤

وقد بقيت في التدريس في مدرسة اعدادي مُلكي في اعلان المشروطية.
وبعد أن اعلنت المشروطية في سنة ١٩٠٨ ذهبت الى الاستانة بدعوة
من صاحب جريدة « اقدام » احمد جودت بك لغاية اصدار جريدته
باللغة العربية وقد ذهبت مع الوفد الذين ساروا الى الاستانة فذهبت
معهم وبما انه لم يحصل الاتفاق بيني وبين احمد جودت على اصدار الجريدة
بقيت في الاستانة بدون عمل. وقد ارتبطت هناك بالاستاذ جميل صدقي
الزهاوي الذي كان يسكن الاستانة وقتئذ. وقد سكنت معه في دار
واحدة حتى ظهور الحركة الرجعية في ٣١ مارت واكثر من ذلك. وقد
نفدت دراهمي في تلك المدة فاتصلت ببيت المطران وهنا ندرة مطران

ونخلة مطران من اهل بعلبك وقد قاموا بمساعدتي لتسديد مصاريفي الشهرية.
ولهؤلاء اشتغال في القضية العربية.

وعندما كنت في الاستانة حصلت لي فكرة الاتصال بحكمت سليمان بك وخالد بك سليمان اللذان كانا في سلانيك مع اخيهم محمود شوكت باشا قائد الجيش في سلانيك والذي شجعني على ذلك ذهاب احد الاتحاديين عمر فخر الدين بك فذهبنا سوية الى سلانيك وفي اثناء الطريق صادف ان حصلت الحركة الارتجاعية في استانبول فتحرك الجيش من سلانيك بقيادة محمود شوكت باشا ولهذا السبب صادفت بعض الصعوبات عند وصولنا الى سلانيك فاوقفت ليلة واحدة ظناً منهم بأني احد المشتركين بحركة العصيان لان الحركة المذكورة كانوا قد قاموا بها المتدينين في الاستانة فاشتبهوا بي للعمامة التي كنت ارتديها(١). فبقيت لمدة بضعة ايام في سلانيك ثم عدت الى الاستانة فوجدت الحالة هناك مضطربة حيث ان ~~الجيش~~ جيش الانقاذ استولى على الاستانة وخلع عبد الحميد ونادى بالسلطان محمد رشاد خليفة. وفي تلك الاثناء ابدلت الطربوش بالعمامة حيث كان ان الذين قاموا بالعصيان هم اصحاب الدين وكان كل شخص صاحب عمامة يشتبه به ففي تلك الاثناء نزعت العمامة وابدلت الملابس الدينية بالملابس الافرنجية.

فاردت أن اعود الى بغداد وكتب المطران نخلة الذي اتصلت به بواسطة زكي مغامز الحلبي (مترجم كتاب تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان من اللغة العربية الى التركية) فابقاني هناك وتعهد أن يدفع نفقاتي في الاستانة فبقي يدفع ستة اشهر يدفع لي مقدار عشرة ليرات شهرياً فبقيت حتى اتى مراد بك بن سليمان بك الى الاستانة فعدت الى بغداد بمساعدة المطران نخلة

وهنا فاتني ان اذكر انني لما توجهت مع نواب العراق الى الاستانة

---

(١) لانني ارتدي العمامة أو السدارة وانا [illegible].

لما وصلنا الى بيروت استقبلوني ادباء بيروت الذين احتفوا بي احتفاءاً كبيراً ولكني تضايقت من جهة قلة الدراهم التي كانت معي فاقترح على محيي الدين الخياط ان اطبع ديواني في بيروت فتعهد بأن يقوم بتصحيحه وأن يكتب له مقدمة فاعطاني احد المطابع ٢٠ ليرة فرنسية ذهباً وبعد قضاء ١٥ يوماً سافرت الى الاستانة بحراً . وقد عدت الى بغداد في تلك السنة او في السنة الثانية للانقلاب ولكني لم امض كل بقائي في بغداد اكثر من شهر واحد حتى عدت الى الاستانة بناءاً على طلب عبيد الله افندي من اهالي آيدين وكان نائباً عن ازمير حينئذ وهذا الشخص كان قد اعتزم على اصدار [illegible] مجلة شهرية عربية باسم «سبيل الرشاد» فاتفقت معه على اصدار المجلة المذكورة فاصدرناها ولكن باسم آخر وهو «العرب» وبهذه المناسبة توسط لتعييني مدرساً في الملكية الشاهانة فبقيت اصدر المجلة المذكورة [illegible] وبنفس الوقت ادرس اللغة العربية في مدرسة الملكية الى ان الغيت هذه المدرسة ثم توقفت المجلة عن الصدور . ثم عينت الى مدرسة تعود الى دائرة الاوقاف في الاستانة يقال لها مدرسة الواعظين مدرساً لدرس الخطابة العربية وقد بقيت بهذه الحرفة الى المدة التي اكون فيها بمجلس النواب وهي اربع سنوات حتى انتخبت نائباً .

— كيف تم انتخابكم وهل الذين توسطوا لكم في النيابة من الاتحاديين لم يرشحوا الا الاشخاص الذين يعتمدون عليهم ؟

— كنت اسكن في دار واحدة مع عبيد الله افندي الذي كنت اصدر معه مجلة «العرب» وكان طلعت بك وزير الداخلية جاءنا فاجتمع ذات يوم عبيد الله افندي وقال ان طلعت بك يود ان يدرس اللغة العربية فهل تتمكنون من تدريسه ؟

فقبلت ذلك بكل ترحاب وبدأت اذهب الى داره ولكنه لم يبدأ بالدرس

غير انه كان يتحدث معي في شؤون شتى وبصفة خاصة عن شؤون البلاد العربية فكنت ابين له رأيي بصراحة ودامت هذه المقابلات حوالي الاسبوعين ثم انقطعت عنه غير انه بقيت صلة بيني وبينه.
ولما انتهت دورة المجلس يظهر ان طلعت بك رشحني شخصياً الى النيابة فاتصل بي احد الاتحاديين وهو حلمي الغزي فقال ان مركز جمعية الاتحاد العام رشحك الى النيابة وسألني عن المحل الذي اريد أن أكون عنه نائباً فرجحت المنتفك فانتخبت عن المنتفك وانا في الاستانة.

— هل دخلتم جمعية الاتحاد والترقي بعد أن صرتم نائباً ؟

— لم ادخل قط ، كما انه لم يطلب الي ذلك احد وقد كنت حراً وفي كثير من المسائل كنت ضدهم كما اني كنت اوافقهم في بعض القضايا

— هل كان لكم صلة بالجماعة الذين كانوا يشتغلون بالنهضة العربية ؟

— كنت اجتمع بهم دائماً ولكن لم ادخل معهم بصورة رسمية في حزب او جمعية؟ غير اني كنت اعطف على كل جماعة تطالب بحقوق العرب على شرط الا تستمد قوتها من الاجانب وكان في تلك الاونة قد تألفت جمعية في بيروت اكثرها من المسيحيين (ولهذه الجمعية الآن كانت لها صلات في اثناء الحرب) وقد جذبت اعمالهم في بداية الامر فنظمت القصيدة التي عنوانها في (معرض السيف) ودعوت فيها الى النهضة العربية ولكن بعد ذلك اطلعت على منهاج تلك الجمعية ولما علمت بانهم اتصلوا بالاجانب نظمت قصيدتي التي عنوانها (يا هذا....) ادعو فيها كلهم وانقد اراءهم اذ قد شممت منها رائحة التفرقة بين المسلمين والنصارى والذين يقرأوا القصيدة يفهم ما كان قصدي من ذلك.

حديث يوم ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤

— متى انتخبتم نائباً ؟

— لا اذكر التاريخ ولكن انتخبت نائباً في المجلس الثاني بعد اعلان الدستور ويجب ان يكون في سنة ١٩١٢ وقد قضى هذا المجلس سنتين اثنين من الحرب وانه بسبب ظروف الحرب لم ينتخب مجلس آخر ولما انتهت مدة المجلس في سنة ١٩١٦ على ما اذكر لم يجر انتخاب جديد وانما مددت مدته. فبقيت في الاستانة الى سنة ١٩١٩ فاردت أن اتوجه الى بغداد فاضطررت الى البقاء في الشام مقدار سبعة اشهر تقريباً بسبب عدم امنية الطرق. وبعد أن بقيت مدة بضعة اشهر في الشام تم طلبت الى التدريس في دار المعلمين في مدينة القدس وذلك بوساطة محمد كرد علي فذهبت الى القدس ووافقت على شروطهم وهي ان ادرس آداب اللغة العربية في تلك المدرسة براتب شهري قدره ٢٥ جنيهاً مصرياً مع الاكل والمبيت

فسافرت الى القدس في سنة ١٩١٩ او اوائل سنة ١٩٢٠ على ما اذكر. اما حياتي في القدس فكان التدريس يشغلني وكنت اجتمع مع بعض الاصدقاء كاسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وغيرهم من الادباء. فبقيت في القدس مقدار سنة ونصف تقريباً.

وكيفية انفصالي من القدس كانت عجيبة غريبة، اذ كانت قد تألفت حكومة وطنية برئاسة النقيب وكان طالب باشا النقيب احد اعضائها وكان كل واحد من هذين يطمع ان يكون ملكاً للعراق ثم اتفقا على أن يكون النقيب الملك على ان لا ينتقل الملك منه الى اولاده وخطر ذكر اصدار جريدة للدعاية في سبيل رد [illegible] للعراقيين فاتفقوا على أني انا الذي ساتولى اصدار هذه الجريدة وادارتها

— جرى كل ذلك وانا لا اعلم عنه شيئاً" — وبما اني من المخالفين لطالب
النقيب ومن الذين يبغضونه لم يصدر دعوة الي بهذا الشأن بنفسه
بل بواسطة حكمت بك سليمان فجاءني تلغرافاً باسم حكمت بك يدعوني
الى العراق مستعجلاً "لمسائل وطنية مهمة" فكتبت اليه برقية اسأل بأية
صفة تدعوني أنت ثم بكل حساب من أأتي الى العراق ؟
فلم يجبني حكمت بك ولكن كتبت الحكومة العراقية — والظاهر ان طالب
باشا هو الذي تولى هذا الامر الى المندوب السامي في فلسطين ان يسفرني الى العراق بطلب الحكومة العراقية وكان انذاك السر هربرت صموئيل — فاستدعاني المومأ اليه بواسطة
احد موظفي المندوبية وفاتحني بالامر فوافقت على السفر الى العراق.
فاعطوني كتاباً بأن اذهب الى السويس وانتظر باخرة تأتي واركب
تلك الباخرة واسافر الى العراق عن طريق الهند. وقد سافرت من
السويس الى القاهرة لقضاء بضعة ايام ثم العودة الى السويس لاخذ الباخرة الى الهند فصادفت في الباخرة الاستاذ فهمي
المدرس وجعفر العسكري وكانا قد اتيا الى القاهرة لمواجهة
بعض الشخصيات وكان السير برسي كوكس حاضراً وكان ساسون افندي
ايضاً كان موجوداً في القاهرة وهؤلاء جميعاً حضروا مع المس بل لمواجهة
المستر شرشل لتقرير الملوكية في العراق. فلما علم السر برسي كوكس
انا ذاهب الى العراق عن طريق الهند اقترح علي ان اسافر معهم الى العراق
رأساً بدون الذهاب الى الهند فقبلت الفكرة وسافرت معهم وكان
في الباخرة فهمي المدرس وجعفر العسكري ومس بل وساسون
افندي والسر برسي كوكس. ولما وصلت الى بغداد وواجهت النقيب
عبد الرحمن افندي علمت منه انهم يريدون معارضة فيصل بشعار
"العراق للعراقيين" ثم اجتمعنا عند النقيب مع السيد طالب
وانا كنت من جملة المؤيدين لهذه الفكرة وقد اقترحت عليهم — بعد
أن تداولنا في الموضوع ملياً — ان هذا العمل واقصد عن الدعاية
لايمكن ان يقوم الا على المال فقلت لهم ان ذلك لايمكن أن يكون

باقل من مائة الف ليرة عثمانية فاستعظم النقيب هذا المبلغ ثم قال
طالب باشا انه مستعد لوضع ضعف المبلغ الذي يضعه النقيب.
ولم يسفر الاجتماع عن اتفاق في الرأي وانقضى على أن نجتمع مرة
اخرى فاتصلت بتوفيق الخالدي – الذي كان حاضراً في الاجتماع – وقال
انه سوف نذهب سوية بباخرة صغيرة انا وانت وطالب باشا
وهناك نتذاكر في الموضوع. ولكن قبل أن يحصل هذا الاجتماع نفى
الانكليز السيد طالب باشا. ولما نفي طالب باشا النقيب كتب انه لم يبق لي
شأناً في هذا الموضوع. كل ذلك جرى قبل مجيء فيصل الى العراق.
وقبل مجيء فيصل كنت قد اتصلت بالمس بل فشرحت لها وضعي وقلت ان الحكومة
العراقية هي التي استدعتني الى العراق بينما كنت موظفاً في القدس والآن لا
يمكنني ان ابقى عاطلاً. كتبت لي كتاباً الى ناظر المعارف يومئذ فواجهته
فاتخذني بوظيفة رئيس دائرة لجنة التأليف والترجمة براتب قدره
٦٠٠ روبية شهرياً. ولما لم تكن اللجنة موجودة ولا شيء استثقلت
هذا الدفع بعد بضعة اشهر فاتصلت بالمستر سميث الذي كان مستشاراً
للمعارف وشرحت له الحال فاقترح علي ان القي بعض المحاضرات على المعلمين
ففعلت ذلك. ولما تألفت الحكومة الوطنية بعد مجيء فيصل عينت مفتشاً
للغة العربية ولكن بعد أن اخذ الاستاذ ساطع الحصري الشغل في المعارف
علمت انه لم يبق لي شأن في المعارف فقررت ان اهجر العراق واذهب
الى تركيا فذهبت فعلاً الى استانبول كي اتجنس بالجنسية التركية
واذهب الى انقرة ولكن لم اجد هناك من معارفي غير سليمان
نظيف ولكن سليمان نظيف لم يتمكن من التوسط الى ذهابي الى انقرة فبقيت
هناك في استانبول حوالي الثلاثة اشهر – في بدء تأليف الحكومة
الكمالية في انقرة – ثم عدت الى بيروت وهناك سعى بعض
الاصدقاء هناك لكي اتجنس بالجنسية اللبنانية. وقد التقيت هناك

قصيدتي المشهورة البائية «هو النفس» بمناسبة مجيء امين الريحاني الى بغداد. وفي تلك الاثناء ارسل لي عبد المحسن بك السعدون يدعوني الى العودة الى العراق فسافرت مع صاحب الجلالة العراقية الى بغداد واراد عبد المحسن بك ان اتصل بالملك فيصل لاجل ان يزول بيننا البرود المتكون فواجهته غير ان المقابلة لم تكن ودية من جانبه فخرجت ولم اواجهه بعد ذلك.

حديث يوم ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤

فبقيت بعد هذه الحوادث لم اتصل بالملك فبقي عبد المحسن بك السعدون يرعاني ويعينني في المعيشة. ولما ساءت حالتي المعاشية نظمت قصيدتي المشهورة مخاطباً عبد المحسن السعدون التي مطلعها الى غرة آل سعدون وهي هذه وبعض ابياتها :

فان لم تدرك الايام عري　　بثوب منك يا غر الرداء
لبست ثرا بيتي في نهاري　　ولم اخلعه الا في المساء
فان جاء المساء لبست منه　　ظلاماً ما تمزق بالضياء.

فاحدثت هذه القصيدة ضجة في بعض الاوساط فقام بذلك الملك فيصل فاوعز الى ساطع الحصري بتعييني الى المعارف فعينت براتب فبقيت في المعارف من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٢٨ فلم ترق تلك الحالة فنويت الاستقالة والذهاب الى الهند فتوجهت الى البصرة وهناك تعهد عبد اللطيف المنديل بارسالي الى الهند ولكن تلقيت كتاباً من عبد المحسن السعدون يطلب اليه الاسراع بمهمتي فعدت الى بغداد ولم اتوظف حتى سنة ١٩٣٠ فانتخبت نائباً في المجلس الذي صدق معاهدة سنة ١٩٣٠ فعارضت المعاهدة فبقيت نائباً في ذلك المجلس ثم انتخبت مرة ثانية. ولما لم انتخب مرة اخرى للنيابة بقيت مدة من الزمن محتاراً في امر معيشتي حيث ان راتبي كان لا يزيد على الـ ١٢ ديناراً" فقررت ان اهجر بغداد لسببين الاول انه لا يكفيني

في بغداد والتي اردت ان اشتغل اشتغالات تجارية بعيدا" عن صخب العاصمة فقررت الذهاب الى الفلوجة فذهبت الى هناك سنة ١٩٢٢ او سنة ١٩٢٣ وبقيت هناك اشتغل بكتابي "الشخصية المحمدية" حتى سنة ١٩٤١ ولما وقعت الحرب بين العراق والانكليز اضطررت الى العودة الى بغداد

— هل اكملتم كتابة المذكرات ؟

— لم اكمل هذا الكتاب لان الكتاب كما تعلمون هو عبارة عن ملاحظات كنت ادونها كلما خطر لي خاطر حول هذا الموضوع .

— هل في النية طبع كتاب المذكرات .

— لو أمكن أطبعه ولكن كما تعلمون ان الوضع لا يساعدني على طبعه في العراق حيث ان الناس لا يتحملون الاراء التي فيها . ولو كانت الظروف تساعدني كنت اذهب الى اوروبا او الى تركيا فاطبعه هناك .

— انتهت الاحاديث —

- ملحق -

المحتويات

صوت الاهالي :
الرقم ٨٢٢
التاريخ ١٨ آذار ١٩٤٥

المقال الافتتاحي

الرجل الذي عاش حراً ومات حراً

ولد الرصافي في بغداد سنة ١٢٩٢ هجرية[1] في عائلة فقيرة من اب كردي وام عربية ، فابوه عبد الغني محمود ينتسب الى عشيرة الجبارية التي تقطن بين كركوك والسليمانية وامه فاطمة بنت جاسم تنتسب الى عشيرة القراغول . وقد نشأ الفقيد في بيت جده جاسم وتربيته امه فارسلته في سن مبكرة الى احد كتاتيب المحلة التي كانت تسكن فيها العائلة وهي محلة القراغول في جانب الرصافة من بغداد

وتنقل من كتاب (بتشديد التاء) الى آخر حتى استقر في مدرسة « الرشدية » العسكرية في بغداد — وكانت بمستوى المدارس المتوسطة — غير انه قبل أن يتم دراسته فيها التحق باحد المعاهد الدينية فدرس على استاذه الاول السيد شكري الالوسي وعلى اساتذة آخرين غيره وبدأ يقرض الشعر وهو دون الخامسة عشرة من عمره . وبعد أن اتم دروسه في مختلف المعاهد الدينية انخرط في سلك التعليم واخذ نجمه يتألق في سماء الشعر ليس في العراق فحسب بل في سائر البلاد العربية وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره الا قليلاً . ولما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ذهب الى الاستانة بدعوة من الاستاذ احمد جودة صاحب جريدة « اقدام » التركية لاصدار جريدة باللغة العربية ، غير ان هذا الامر لم يتم فبقي الفقيد بالاستانة واتصل باحرار الانقلاب الدستوري وبدأ منذ ذلك الوقت جهاده وكفاحه في سبيل الحرية القومية وحرية وطنه

(١) توافق ١٨٧٥ ميلادية وبما انه قد انتقل الى رحمة الله في عام ١٩٤٥ يكون قد عاش ٧٠ عاماً .

واصدر في تلك الظروف مجلة عربية باسم «العرب» ثم عين مدرساً في المدرسة «الملكية الشاهانة» — وهي مدرسة عالية اخرجت كبار الموظفين الاداريين في الدولة العثمانية — فبقي يدرس فيها وفي مدارس اخرى حتى انتخب نائباً في المجلس النيابي العثماني عن لواء المنتفك في العراق سنة ١٩١٢. ولم ينتم الفقيد الى احد الاحزاب والجمعيات التي كانت قائمة حينذاك؛ غير انه كان دائم الاتصال بالجمعيات العاملة في سبيل النهضة العربية، عاملاً معها في سبيل نصرتها، مكافحاً التدخل الاجنبي في استغلال تلك الحركة الوطنية. وقد بقي في الاستانة طيلة مدة الحرب وبعد انتهائها انتقل الى فلسطين فعين مدرساً للادب العربي في مدرسة المعلمين في القدس. ولما اسست الحكومة الوطنية الموقتة في العراق استدعي الى وطنه فلبى الدعوة وساهم في الحركة السياسية التي كانت قائمة في تلك الظروف، ولما اتخذت تلك الحركة السياسية اتجاهاً لا يقره اعتزل العمل السياسي ودخل التوظف في وزارة المعارف، فعين مفتشاً للغة العربية غير انه لم يلبث ان اعتزل تلك الوظيفة واصدر جريدة «الامل» اليومية السياسية ولكنها احتجبت بعد مدة قصيرة. وقد اعتزم مرتين خلال تلك الفترة هجرة وطنه فسافر مرة الى خارج العراق لهذا الغرض.

وفي سنة ١٩٢٤ انتخب نائباً في المجلس النيابي الذي صادق على المعاهدة العراقية — البريطانية سنة ١٩٢٢ فكان العضو المعارض لها. وقد انتخب عضواً في مجلس النواب سنة ١٩٣٧. وكان قد ترك العاصمة سنة ١٩٣٣ الى الفلوجة حيث اقام الى منتصف سنة ١٩٤١ وقد الف خلال اقامته في الفلوجة كتابه المشهور «الشخصية المحمدية» الذي لم يطبع.

× × ×

ان البلاد فقدت بموت الرصافي شخصية فذة لا مثيل لها ، فقد كان الفقيد رجلاً من رجال الفكر ، واسع العقل ، صلب العقيدة ، شديد المراس في الحق ، حاد الذكاء ، شاعراً من فحول الشعراء العرب الذين سيخلد ذكرهم تاريخ الادب العربي كما ستخلده المدارس الادبية للاجيال التي سوف تعين منزلته الادبية الرفيعة بين شعراء العرب الافذاذ لا لهذا الجيل فقط ، بل للاجيال كافة .

فنحن لا نشك ان هذا الشاعر العظيم سيحتل مكاناً رفيعاً بين شعراء العرب كافة . وقد يكون بين شعراء العرب من يفوق الرصافي في معرفة اللغة او قوة النظم او سلاسة الاسلوب او سعة الخيال او دقة المعاني ولكن ليس هناك اكثر من بين الشعراء من يدانيه في متانة اخلاقه وصدق تعبيره عما يختلج نفسه الكبيرة من مرح وسرور ومن آلام واوصاب . ولكن لا نغالي اذا قلنا ان النفس الكبيرة التي كان يحملها الرصافي لم تتدن الى ارتكاب رذيلة الكذب يوماً لا في حياته الخاصة ولا العامة . وهو في شعره الكثير الذي يملأ الدواوين لم ينافق ولم يداج ، ولا عجب ان في قدرتنا او في قدرة غيرنا ان يصف الرصافي باحسن مما وصف هو نفسه في قصيدة له بعنوان " بعد النزوح " حيث قال :

هي المواطن ادنيها وتقصيني ... مثل الحوادث ابلوها وتبليني
قد طال شكواي من دهر اكابده ... اما اصادف حراً فيه يشكيني ؟
كأنني في بلادي ان نزلت بها ... نزلت منها ببيت غير مسكون

× × ×

انا ابن دجلة معروفاً بها ادبي ... وان يك الماء منها ليس يرويني

× × ×

ما كنت احسب بغداداً تحلئني ... عن ماء دجلة يوماً وتظميني

× × ×

لقد سقيت بفيض الدمع اربعها   على جوانب واد ليس يسقيني

× × ×

عاهدت نفسي والايام شاهدة   ان لا اقر على جور السلاطين
ولا اصادق كذابا" ولو ملكا"   ولا اخالط اخوان الشياطين

× × ×

سيان عندي أجاد الموت مخترما"   من قبل عشرين ام من بعد تسعين

× × ×

ويل لبغداد مما سوف تذكره   عني وعنها الليالي في الدواوين

امّا وصفه للواقع وما تكابده البلاد من اوضاع شاذة فلا تعتقدان شاعرا" وافيا" اتى بايجاز، وان شئت فقل باعجاز اكثر من وصفه لحقيقة الواقع في قصيدته المشهورة ((شكواه البائسة)) مخاطبا" فيها المرحوم امين الريحاني، حيث قال :

أ أمين جئت الى العراق لكي ترى
مافيه من غرر العلى وحجوله
عفوا" فذاك النجم اصبح آفلا"
والقوم محتربون بعد افوله
أوما ترى قطر العراق بجسمه
قد فاق مقفره على مأهوله
امّا الحيا فيه فذاك الحيا
لكن مسيل الماء غير مسيله
وربيعه ذاك الربيع وان شكا
من جهل ساكنه اشتداد محوله

× × ×

فالجار ليس بآمن من جاره
والخل ليس بواثق بخليله
x x x
واذا تكلم عالم في امرهم
خفروا ذمام العلم في تجهيله
حالا لو افتكر الحكيم بكنهه
طول الزمان لعي عن تعليله
x x x
فالى اين يرجى للعراق تقدم
وسبيل ممتلكيه غير سبيله
x x x
وقد استبد قليله بكثيره
ظلماً وذل كثيره لقليله

هذه قطرات قد تكون أقل من قطرات الندى من بحر متلاطم الامواج من شعره المطبوع وفنه المبدع، فالرصافي من اولئك الشعراء الذين لا يقولون الشعر لمجرد القول، وانما كان دائماً، في كل الاوقات وفي التقلبات السياسية وفي كل الظروف لا يقول الا الحقيقة، فهو بهذا الاعتبار كان مثالاً للفضيلة.

فنحن تجاه هذا الفن المبدع، وهذا الادب الرفيع، وهذه الشخصية الفذة، وتجاه هذه الفضيلة التي لازمت الرصافي طوال حياته المفعمة بالآلام والاوصاب، نقف خاشعين مكبرين روحه الابية.

واذا كان قد ودعنا الرصافي من هذه الدار الصغيرة البالية في الصغر والتي وصفها "كأن هي وبيت غير مسكون" الى هذه الحفرة المتواضعة، فانما نتخيل كأننا في ميدان فسيح من ميادين بغداد العظ

حيث يقف «دار ابن دجلة» التي لم يرده ماؤها ، يقف هيكل تلك الوقفة الهادئة الرزينة كأنه ينشد النشيد ، كما كان ينشده في وقفاته الوطنية الصادقة .

مجلة عالم الغد

العدد التاسع

السنة الاولى

١ نيسان ١٩٤٥

صديقي الرصافي

كادت نفسي تتقطع حسرات عندما بلغني نعي الصديق الحميم الشاعر العبقري والاديب اللوذعي الاستاذ الرصافي وتقاطرت في ذهني ذكريات كثيرة مسجلة في شريط طويل يبلغ عمرها اكثر من ربع قرن فيها البدائع والروائع والعجائب والغرائب، فيها الافراح والاتراح والآمال والآلام فيها المعجب المطرب والمضني المتعب. وان القلم ليعترف بالعجز عن نقل تلك الذكريات من عالم الشعور الى عالم التصوير. ومع ذلك فاني مدين لصاحبي بدين لابد من وفائه وهو أن ابسط ما اعرفه عنه للحقيقة وللتاريخ. على أنني لا اريد في هذه العجالة أن اسجل ترجمة الشاعر الراحل مسهبة مفصلة لانني سوف اسلمها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق باعتباره احد زملائي في ذلك المجمع. وانما اريد هنا أن اذكر لمعا مما جرى بنفسي من اخلاق الرجل على سبيل الايجاز:

(١) كان الرصافي رحمه الله قليل التحدث عن نفسه وعن اسرته واذا اراد محدثه ان ينتزع منه شيئاً من هذا القبيل كان عليه أن يستعمل اللباقة والمداورة للحصول على بعض ما يريد. ما سمعته مرة في مجالسه الخاصة يتحدث عن عشيرته ولا بشيء مما يمت اليه بصلة بل كثيراً ما سمعت منه ما يشير الى التبرم من ذلك على انه لم يقل شعراً من نزوات في هذا الباب غير قوله:

عهدتك شاعر العرب المجيدا

فما لك لا تعاطاها النشيدا

فجئ اليك بالاسماع تصغي

وقل لك ان تفيد فتستفيدا

بشعر لاتزال تنوط منه
بجيد بدائع الدنيا عقودا
اذا انشدته الحسناء تاهت
كأن قرطها دراً فريدا
وانت اذا قرنت به عميدا
رددت الى الحياة به العميدا
ولو تستنهض الجماد يوماً
به لتقحموا الهيجاء اسودا
ولو كررته للقوم الفاً
لاقسم سامعوه بأن تعيدا
وكم تهتز اعطاف المعالي
اذا ما فتق قافية شرودا

وقوله:

انا ابن دجلة معروفاً بها ادبي
وان يك الماء منها ليس يرويني
قد كنت بلبلها الغريد انشدها
اشجى الاناشيد في اشجى التلاحين

وهذا الضرب من الشعر قليل في شعره على انه مما يكثر من فحول الشعراء.
٢) أما اصله واهله فلا يتحدث عنهما الا اذا جذبه الحديث اليهما جذباً فيضطر الى الايماء والالماع دون البسط والاسهاب.
زرته ذات مرة في بيته فلمحت على وجهه امارات الانفعال واثار الدموع فلم اكتم عنه ما لمحت فقال لي: سمعت قينة الى جوار منزلي تغني غناء اشجاني واذكرني البيت الذي كنت اعيش فيه وعلى الاخص امي التي كانت تحنو علي حنواً ما علمه من بعد. وقد كانت تغمرني بالعناية حباً وودا. [illegible] [illegible] [illegible]

مما كنت اقرأ في الكتاب والمدرسة . وكانت - رحمها الله - لا يقر لها قرار حتى تراني الى جنبها ولا ازال اذكر لها اهتمامها بمطعمي وملبسي وكل ما له صلة بتهذيبي وتعليمي ومهما تطاولت بي الايام كأني لا ازال اذكر عيشتي تلك معها واحن اليها . ولما رجعت الى بغداد بعد طول الغيبة وقد انتقلت الى جوار ربها - لم اقو على رؤية البيت الذي كنا نعيش فيه ، بل لم استطع سلوك الطريق الذي يتصل به .

ومن قال لك ان اباه من اصل كذا وامه من اصل كذا فقد أبعد .

فاني على وثيق صلتي به لم اسمع منه حرفا واحدا يشير الى هذه الجهة .

(٣) وذكر انه كان في صباه يعبث كما يعبث اقرانه ويحب اللهو واللعب وانه قد فقد احد اصابع يده لما كان يعبث ببعض الادوات الحديدية .

(٤) اما طلبه للعلم فقد ذكر لي انه في اول الامر دخل احد الكتاتيب حتى ختم القرآن الكريم وتعلم فيه مبادئ الكتابة ثم انتقل منه الى مدرسة ابتدائية — ودرس اذ ذاك ثلاثة صفوف — وبعد ان نال شهادتها انتظم في سلك المدرسة الرشدية وقبل أن يتم الدراسة فيها حُبب اليه احد اقارب والده أن يتوجه الى طلب العلوم الدينية فاخذ يتردد على بعض المدارس القريبة من مسكن ابويه فاتصل اول الامر بالعلامة السيد محمود شكري الالوسي - عليه الرحمة - ودرس عليه مبادئ العربية وشيئاً من مبادئ الوضع ثم اتصل بالكثير من اشياخ ذلك الزمان منهم الشيخ عباس القصاب - عليه الرحمة - والشيخ قاسم القيسي - حفظه الله - واشياخ آخرون .

ومما لا ابرح اذكر انه كان يقول : حُبب اليَّ في بدء دراستي العربية التبسط في فهم الشواهد وشروحها وتذوق ما فيها من بلاغة وكنت احفظ الشاهد وما يسبقه وما يلحقه من ابيات فاجمع في حقيبتي وفي حافظتي منها شيئاً كثيراً . ومن هنا كنت احاول ان انظم الشعر محاكياً ومجارياً فقرضت الشعر وسني دون السادسة عشرة فاجتمع عندي منه كمية صالحة وقد كان القريض يأخذ من وقتي الشيء الكثير .

ملحوظة: يلاحظ ان هذا هو السر في جزالة شعر شاعرنا ورصانة ما دانى فيه الجاهليين و فحول الشعر الاولين ولم يسامه في ديباجته شاعر من المتأخرين او المعاصرين. لأن الشعر الشواهد — كما يعلم القارئ — مقصورة على شعر الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين وهو ارصن شعر عرفته اللغة العربية وامتنه.

(٥) واول منصب حصل عليه شاعرنا هو التعليم في المدارس الرسمية في بغداد وكان راتبه ليس بالمبلغ الكبير.

(٦) كان شاعرنا كريم الطبع قليل الاحتفاظ بالمادة فكان يبدد ما يحصل عليه من الراتب قبل نهاية الشهر بايام وكان شديد العطف على اهل الفاقة من المعوزين وذكر لي انه كان يجلس الى احد باعة الدخان فمرت امرأة بيدها اناء من نحاس قال: فاسرت الى صاحب الدكان حديثاً لم افهمه فاخذ منها الاناء واعطاها بضعة قروش بغدادية (والقرش البغدادي يعادل اذ ذاك فلسين ونصف الفلس اليوم). قال: فسألته عن جلية الامر فاخبرني ان هذه المرأة وهي ام يتيم لا تملك شيئاً من المال فجاءت بهذا الاناء لترهنه عندي بهذا المبلغ الزهيد لكي تنفقه على ابنها يوم العيد غداً. قال: فتأججت في نفسي نار الالم فادخلت يدي في جيبي واخرجت ما فيه وكان اذ ذاك لا يتجاوز بضعة عشر قرشاً فاعطيتها لصاحبي ليعطيها اياها. ورجعت عن الفور وذهبت الى البيت والالم يحز في نفسي ثم لم يغمض لي جفن في تلك الليلة حتى نظمت القصيدة التي عنوانها (اليتيم في العيد) وزهده في المال اذ بلغ في حياته انه اذا وصل الى يده الشيء الكثير منه بدده في الوقت القصير وبقي قانعاً بالقليل يتبلغ به وكثيراً ما تراه الايام خاوي الوفاض لا يملك شروى نقير وهو في كل ذلك لا يبدي ضجراً ولا يشكو الا الى من يعرف ذلك منه كل من صحبه من خلصائه ورفاقه.

ولا ادل على ذلك من انه كسب مرة مبلغاً كبيراً من المال فبقي فيه شهراً واحداً. ولعل هذه السيرة هي التي جعلته يوسر حيناً ويفتقر احياناً وهو في كل احواله موفور الكرامة ابي النفس

لا يجعل اخلاقه موضوع حديث لصديق مهما وثق به وامن جانبه . وكل الحق فانه الحالة لم يكن من هم شاعرا في قليل ولا كثير . واذا رأى بعض الناس منه اهتماماً بامر العيش في اخريات ايامه — فان ذلك لما ابتلي به من تزويج ساعده في بيت خزنة عدة بنات احتجن مع امهن الى العيش الراغد وشاء الله شديد العطف على امثالهن من سائر الناس فكيف وهن ولدن في بيته وتحت كنفه .

(٧) كان قليل الاهتمام في ملبسه ومسكنه ومأكله فكان لا يهمه من ملبسه الا النظافة ولا في مسكنه الا البساطة . اما مأكله ولا سيما في اخريات ايامه فكان من ابسط نجعان . فهو احق من ينطبق عليه المثل المشهور (يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل) وكان يتحلى بالتمر مجتزئاً به عن غيره من ضروب الحلوى .

(٨) كان كثير الحرص على كرامته بل كان يقدمها اعز ما يملكه واعز ما يحرص عليه . فاذا شعر ولو من بعيد ان احداً تعرض له فيها هاج ولا هياج البحر الاخضر . وكل الذي اصابه من مجافاة بعض اخوانه ومقاطعة بعض خلصائه متولد من هذه الناحية . فانه اذا شم من احد رائحة تخل بها اي بخلق من كرامته او تخدش عزة نفسه قطع ما بينه وبينه غير آسف ولا نادم . على انه اذا اوضحت له الحقيقة وكشفت له الامور عاد الى سيرته من الصحبة ووصل ما انقطع من الالفة .

(٩) ولم يكد ينيف الرصافي على الثلاثين حتى شرقت شهرته وغربت وطار صيته في ديار الضاد واكبره الادباء في ديار مصر والشام بله العراق . حتى ان اديباً من كبار الادباء في مصر كان يقول عندما يقرأ شعر الرصافي في الصحف المصرية ان الرصافي من فحول شعراء العصور الاولى لما تشتمل عليه ديباجة شعره من المتانة والرقة والجمال . ولم يكن يحسب انه في العصر الحاضر قد نبغ شاعر يسمو بالشعر الى هذا المستوى الرفيع . واذكر اني كنت في مقتبل الصبا ميالاً الى قراءة بعض الصحف المصرية التي تصل الى بغداد وهي اذ ذاك قليلة جداً ولا تصل الا بعد مرور زمن غير يسير — فقرأت في بعضها

سؤالاً هذا معناه: ورد الى مصر كتاب بهذا العنوان (مصر شاعر العرب الأكبر) فمن نعطي هذا الكتاب؟

ينقسم الادباء في مصر اقساماً فبعضهم يقول: يسلم الى شوقي وبعضهم يقول: يسلم الى حافظ وآخرون الى آخرين. ولكن اديباً رفيع الشأن بمصر قال: في العنوان خطأ - يجب ان توضع كلمة بغداد مكان كلمة مصر ويسلم هذا الكتاب الى شاعر مدينة السلام معروف الرصافي الذي لا يوازن به شاعر في هذا العصر لا في مصر ولا في غير مصر. كنت اقرأ هذا الجواب واعجب من تفوق شاعرنا على شعراء العالم العربي في نظر هذا الاديب ابلغ اعجاب.

(١٠) واني اسجل هنا ان شاعرنا الراحل كان من اوسع الادباء معرفة في اللغة ولا اذكر انني تذاكرت معه في موضوع منها الا وجدته يستحضر الشيء الكثير مع الضبط الكامل والدقة في معرفة الخصائص والمزايا لكل كلمة يضبطها ولو قلت لك: انه كان يتمكن من الاجابة عن اكثر اللغة العربية التي تحويها المعاجم المطبوعة اليوم - لم ابعد عن الحقيقة فيما ذكرته مع انه لم يملك من معاجمها - على ما اعلم - سوى كتاب (اقرب الموارد) ولعل اكثر ما حفظه يرجع الى حفظه للشعر والشواهد وهو كما يعلم القارئ من اكثر الشعراء استعمالاً لغريب اللغة وفصيحها.

وكذلك كان متقناً لقواعد الصرف والنحو اتقاناً عجيباً وكثيراً ما كنا نتذاكر في بعض موضوعات هذا العلم فاجده نافذاً الى اعماق الموضوع محيطاً بجميع اطرافه. ولو قلت لك: انني لم القَ في عمري اديباً اوسع معرفة باللغة وخصائص مفرداتها وبالصرف والنحو وما يتصل بقواعدهما من قيود وشروط لم اعدُ الواقع.

هذا واما الشعر فحسبك ان تتصفح ديوانه - ثم تحكم منصفاً ولا تجعل للهوى الى رأيك سبيلاً.

ولكن الحق ان الرصافي الراحل - عليه الرحمة - يعتبر حامل لواء التجديد في الشعر من زمانه وبلده بغير ما منازع. واليه يرجع الفضل في تحرير الشعر

يكون وسيلة للاستجداء وذريعة للقدح والمدح في المنع والعطاء
كما هو قوله :

تركت من المديح لأهله
ونزهت شعري أن يكون فداءا
وأنشدته يجلو الحقيقة بالنهى
ويكشف عن وجه الصواب قناءا
وأرسلته عفواً فجاء كما ترى
قوافي تجتاب البلاد سراءا

طه الراوي

صوت الاهالي العدد: ٨٣٦
التاريخ: ٣ نيسان ١٩٤٥

الرصافي

كتاب الى الاستاذ طه الراوي

استاذي المحترم السيد طه الراوي .

قرأت ما نشرتموه في العدد التاسع من مجلة عالم الغد بعنوان «صديقي الرصافي» فسرني ذلك لان ما ينشر الآن عن الرصافي وهو تلك الشخصية الفذة ـ ولاسيما اذا كان صادراً عن اصدقائه المقربين اليه وعن رواد من الثقافة مثلكم ـ سوف يكون عوناً لمن يريد البحث عن تاريخ حياة هذا الشاعر الكبير ودراسته لنقده وتحليل شخصيته . ولما كنت اعتقد بانكم لا تتوخون فيما تكتبون غير الحقيقة وددت أن اسجل ملاحظة صغيرة حول فقرة وردت في مقالكم المشار اليه وهي قولكم من قال لك ان اباه من كرد وانه من اصل كردي فقد أبعد . فاني طول مدة اتصالي به لم اسمع منه حرفاً واحداً يشير الى هذا الامر » وربما كان المقصود من هذه الفقرة تعريضاً بما جاء في المقال المنشور في جريدة صوت الاهالي الصادرة بتاريخ ١٨ آذار ١٩٤٥ من ان الرصافي ولد في كاني سورة من ابوين كرديين والده عربيه نابوه عبد الغني محمود ينتسب الى عشيرة الجباره التي تقطن بين كركوك والسليمانية وان والدته فاطمة بنت جمعة تنتسب الى عشيرة القراغول »

ان كل ما جاء في هذا المقال عن حياة المرحوم الرصافي كان مصدره الرصافي نفسه اذ ان كاتب المقال كان يعلم ان الرصافي قلما كان يتحدث عن نسبه وتاريخ حياته الا اذا اقتضى ذلك سياق الحديث او اذا صدف الحديث كما تفضلتم . وهذا ما يؤيده أنه تحدث لي اذ كنت المتحدث اليه ...

يميل دائماً الى الاعراض عن ذلك مبالغة في التواضع.

لهذا السبب كان كاتب المقال يعتقد انه لا يبعد ان تبقى بعض الحقائق عن حياة الرصافي مكتومة عن اصدقائه المقربين اليه امثالكم. فلهذا كان كاتب المقال قد اتصل بالرصافي قبل وفاته برغبة في تدوين شيء عن حياته الخاصة والعامة فوجه اليه بعض الاسئلة ولكن اجوبته عنها بالرغم ومع أن فرغ من مهمة تلك فرأيه بادرته فراقني، رحمه الله، على كل ما دون بهذا الشأن. ولهذا اضطر كاتب المقال ان يستعرض حياة الفقيد بايجاز في جريدة كان يصدرها الرصيد ذلك العهد الذي اشترك الرصافي فيه.

انني لم اكن لاتصدى الى هذه الملاحظة لولم اعجب في كثير من العلماء الذين لا يتكلمون الشيء لمجرد عدم العلم به.

هذا واني لا ازال من المعجبين بفضلكم وادبكم وقانا الله واياكم شر الزلل

والسلام عليكم

المخلص لكم

كامل الجادرجي

جريدة صوت الاهالي
العدد: ٨٤٦
التاريخ: ١٦ نيسان ١٩٤٥

الرصافي

بين الاستاذ طه الراوي وصاحب هذه الجريدة

يذكر القراء ان صاحب هذه الجريدة كان قد كلف ، بكتاب وجهه الى الاستاذ الجليل السيد طه الراوي ، حول فقرة وردت في مقال له في مجلة عالم الغد بعنوان "صديقي الرصافي" وقد ورد الى ادارة هذه الجريدة رد الاستاذ طه الراوي على ذلك الكتاب . وها نحن ننشره مع جواب صاحب هذه الجريدة عنه :

بغداد ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤
٤ نيسان سنة ١٩٤٥

الاخ الفاضل النبيل السيد كامل الجادرجي المحترم

تحية وتكريماً . اما بعد فاني وقفت على كلمتكم المنشورة في العدد ٨٣٦ من صحيفة صوت الاهالي الغراء تحت عنوان "الرصافي" فشكرت لكم عنايتكم بما كتبته في هذا الموضوع ، على انكم فسرتم عبارة جاءت فيه تفسيراً لم يخطر ببال — فظننتم انني عنيت في قولي : "ولو شئت ان اباهي من اصدقائه واساتذته لكنت فيه ابعد ..." تعريضاً بما جاء في المقالة المنشورة في جريدة صوت الاهالي الصادرة بتاريخ ١٨ آذار سنة ١٩٤٥ ... مع انه لم يخطر ببالي هذا المعنى عند كتابة هذه الفقرة وانما اردت الرد على بعض المراسلين

الذين يتسكعون في الظلام ويهرفون بما لا يعرفون . اما كلمتكم التي جاءت في صحيفتكم فهي مبنية على الرواية عن الثاني ونسبه فهي حجة من غير شك وقديماً قال اسلافنا « من حفظ حجة على من لم يحفظ » ولكنكم بعد هذا تحتاجون الى التأويل الذي تماً ورد في شواهد مما يفيد منه انه عربي النجار مثل قوله :

من شاعر عربي غير ذي عوج ..

وقوله :

عهدتك شاعر العرب المجيدا ..

وقوله :

ما ضرني عراني اليوم من عرب

لا يغضون لا ابليس يرضي

تالله ما ضاع حق هكذا ابدا

لو كنت من [redacted] عجم صهب الغانين

الى غير ذلك مما هو منثور في ثنايا الديوان . وكل الذي اريده من هذه الكلمة ان تطمئن الى اني بعيد كل البعد عن سلوك مسالك التعريض ، لانني اعد ذلك من النقص الخلقي الذي ابأ بنفسي عن الوقوع في اشراكه .

هذا والسلام عليكم من اخيكم

طه الراوي

استاذي المحترم السيد طه الراوي

تحية واحتراماً . وبعد ، فقد يبدو لي ايها الاستاذ انا تجاه معضلة عويصة ، هي التوفيق بين ما روينه بشأن نسب الرصافي وبين ما ورد في شعره من كونه « عربي النجار » فأسأل الله ان ييسر لنا الكشف عنها . وقد يجمع ان اكون « انا البادي » ، وهذا تسامح عظيم يليق باستاذ كريم مثلكم . ولا بد الا تكون الثقة

بعيدة عن الاستاذ والتجدد في طريقة البحث — وهذا ما آمل ان لا يكون ان شاء الله —
ارجو أن تسمحوا لي قبل الخوض في الموضوع ان اتساءل، من هو العربي ؟

ولا شك بأنكم تتفقون معي على أن هذا التساؤل لابد أن يجرنا الى التساؤل اعم، عن ماهية القومية او العنصرية.

نحن مؤمنون، ولله الحمد، بأن الله جل شأنه قد خلق البشر من طينة واحدة، ولكنه لاسباب لا يعلمها غيره، تعالت قدرته، قد جعلهم شعوبا وقبائل. ولحسن الحظ، ان علماء الانثروبولوجيا (علم الانسان) المعول عليهم يتفقون معنا على أن البشر نشأ من اصل واحد ثم انقسم الى سلالات اصلية تختلف اختلافا اساسيا عن بعضها من حيث الفوارق التي اعتبروها جوهرية، كالسلالات القوقازية والمغولية والزنجية، والى بعض سلالات اصلية اخرى كالسلالات الاسترالية ونحوها.

وقد ادخل هؤلاء العلماء في السلالة القوقازية اجناسا متعددة من البشر، فعدوا معظم سكان اوروبا والهند وايران والبلاد العربية وافريقيا الشمالية ضمن هذه السلالة، كالجنس النورديكي الذي تقطن اكثريته في سواحل البلطيق وفي شبه جزيرة اسكنديناوا والدينمارك وشمالي المانيا وفرنسا والقسم الشمالي والغربي من أمريكا، وكالجنس المدعو بالميديترانيني الذي تقطن اكثريته في بعض سواحل البحر الابيض المتوسط، وكالجنس الالبي الذي يؤلف معظمه القسم الوسطي من فرنسا واواسط البلقان واقسام كبيرة من روسية، غير ان هذه الاجناس البشرية تعيش في اقسام كبيرة من هذه البلدان متشابكة بعضها ببعض دون ان تتقيد بحدود القوميات الحاضرة، وبهذا الاعتبار فان علماء الانثروبولوجيا الذين يستندون بتقسيماتهم هذه الى اوصاف ومقاييس مادية ثابتة — سواء في تقسيم السلالات او الاجناس كاستقامة الشعر واللون واستدارة الرأس واستطالته وما الى ذلك من العلامات التي تفرق سلالة عن سلالة اخرى او جنسا عن جنس آخر. ان هؤلاء العلماء لا يقرون بوجهة نظر القوميين الذين يقررون القومية

بمفهومها الحاضر اساساً للتفريق بين البشر. فعلماء الانثروبولوجيا مثلاً يعتبرون جميع سكان جزيرة اسكنديناوا وممالك البلطيق الثلاثة وشبه جزيرة جتلاند وسكان هولاندا والبلجيك والقسم النورماندي من فرنسا، من جنس واحد وهو النورديك - وان كانوا بنظر القوميين وبحكم الواقع منقسمين الى نرويجيين وسويديين وليتوانيين ولاتفيين واستونيين ودانماركيين وهولانديين وبلجيكيين وفرنسيين بينما يعتبر سكان فرنسا جميعاً بنظر القوميين من جهة ثانية من قوم واحد في حين انهم بنظر الانثروبولوجيين يعتبرون خليطاً من ثلاثة اجناس يقطن شمالها الجنس النورديكي، ويقطن وسطها الجنس الالبي ويقطن جنوبها الجنس الميديتراني، كما ان بعض هؤلاء العلماء يعتبرون الاكثرية في مدن فرنسا الرئيسية، ولاسيما القسم الغربي منها، مؤلفة من اكثرية نورديكية. والامر كذلك في انكلترا التي يغلب في بعض اقسامها الجنس النورديكي وفي بعضها الاخر الجنس الميديتراني، وهو كذلك ايضاً في ايطاليا التي يؤلف قسمها الشمالي خليطاً من الجنسين النورديكي والالبي، على حين انه يغلب في القسم الوسطي الجنس الالبي. اما القسم الجنوبي فيكاد ان يكون مؤلفاً من الجنس الميديتراني. وليست بنا من حاجة بعد هذا الى سرد امثلة مكررة في هذا الباب.

والذي يتضح من الامثلة التي ضربناها عن بعض اقسام اوروبا انه من الممكن ان ينقسم الجنس الواحد من البشر الى قوميات مختلفة، فيصبح مثلاً كل من السويدي والنرويجي والليتواني والدانماركي والهولندي والنورماندي من فرنسا بعيداً بعضه عن البعض الاخر لعوامل متعددة اهمها اختلاف اللغة، كما يتضح انه من الممكن ان يوجد بين القومية الواحدة اجناس مختلفة من البشر، فيكون مثلاً النورماندي قريباً من المارسيلي لكونه التكلم للغة واحدة، وهي الفرنسية، وما

يقال عن ذلك يصح أن يقال ايضاً عن سكان تريستا في شمالي ايطاليا، وعن سكان برنديزي في جنوبها وهم الذين اصبحوا ضمن قومية واحدة على اختلافهم في الجنس.

ولنعد الآن الى البلاد العربية، ولما كنا لا نريد في بحثنا هذا ان نتغلغل في الادوار السحيقة من تاريخ القومية العربية ونتعقب قصة العرب العاربة والعرب المستعربة، فليس لنا الان الا ان نفترض بأن القوم الذين كانوا يقطنون جزيرة العرب وقت رسالة محمد (ص) عرباً خلصاً ومن جنس بشري واحد. فاذا سلمنا بهذا الامر سواء كان مفترضاً او واقعياً، وسلمنا ايضاً بالحقيقة التي لا جدال فيها بأن سكان البلاد المجاورة لجزيرة العرب كسورية وفلسطين ومصر والعراق لم يكونوا قبل الفتوحات الاسلامية من قومية واحدة، بل كانوا يؤلفون قوميات مختلفة و ربما اجناساً مختلفة، ذلك انهم لا يمتون الى العرب بصلة ما – باستثناء بعض القبائل العربية التي كانت تساكن تلك الاقوام كالمناذرة والغساسنة – وان الفاتحين العرب لم يطردوا تلك الاقوام من ديارهم ولم يبيدوها، فلم يبق لنا الآن نقرر كيف انقلب الفينيقيون والآشوريون والكلدان والانباط والاقباط وغيرهم من سكان تلك البلاد الاصليين، الى عرب يؤلفون الآن وحدة قومية لا غبار عليها.

ولا شك انكم متفقون معي على أن هذا الامر لم يكن الا نتيجة الواقع تعرب تلك الاقوام المختلفة. والذي اعتقده ان اللغة العربية كانت اعظم وسيلة لصهر تلك الاقوام وصبها في قالب عربي كما نراه اليوم. ولا يخفى عليكم ان ماجرى في هذا الشأن لم يكن مقتصراً على الازمنة السابقة، بل ان هذا الصهر بقي مستمراً الى يومنا هذا. فالاقوام التي تنزح الى البلاد العربية وتستوطنها يصبح عربية وان كانت منحدرة من قوميات اخرى حتى اذا كانت من اجناس او سلالات بشرية اخرى، [illegible] تلك الامم

عن طبيعته ولم تكن فيه بعض الملابسات التي لسنا الآن بصدد التطرق اليها .

ولاجل أن يكون هذا الموضوع أكثر وضوحاً أرجو أن تسمحوا لي بسرد بعض الامثلة الفردية : فلنفترض ان هنالك عائلة اسلافية نزحت من الصين ، فاصبح الجيل الثاني لتلك العائلة لا يتكلم غير العربية ، فتثقف بثقافة عربية وصار احد ابنائها كاتباً من كبار كتاب العرب ، فهل لكم ان تعتبروه غير عربي مع انه من سلالة تختلف كل الاختلاف عن السلالة التي ينتمي اليها العرب ؟

(وهو من سلالة مغولية ، الى العراق وقطعت صلته بها ... صغيرة ، فقد)

هذا مثال افترضته افتراضاً لاثبت لكم انه من الممكن ان يصبح الانسان عربياً حتى لو انه كان قد انحدر من سلالة بشرية بعيدة عن سلالة العرب .

ولكن بالنسبة لهذا المثال الفرضي لدي مثال واقعي اسوقه اليكم : انا اعرف عاملاً يدعى مصطفى بن فضل الدين يشتغل الآن لدى احدى الشركات الاجنبية في بغداد وهو اليوم في نهاية العقد الثالث من عمره كما اظن . ولد هذا العامل من اب افغاني كان قد اتى الى العراق في سن مبكرة فنسي بلاده واهله وعشيرته ، وانقطعت صلته بموطنه الاصلي ، وتزوج من ام كردية قذفتها موجة من موجات المجاعات التي كانت تنتاب تلك البلاد ، الى بغداد وهي لا تتجاوز الخامسة او السادسة من عمرها ، فلم تكن تعرف شيئاً عن بلادها وعن اهلها ونسيت لغتها الاصلية فصارت العربية لغتها بحكم البيئة . وكان هذا العامل الذي اتحدث اليكم عنه آخر ثمرات هذين الابوين وقد فقد اباه وهو طفل . والذي اعتقده انه لم يتعلم من اللغة الافغانية كلمة واحدة . ثم فقد امه (الام لم تتكلم غير العربية) وهو فتى يافع ، فاشفقت عليه احدى العائلات العربية ببغداد فنشأ في بيتها ، وهو الآن وطني الى لا يعرف كلمة واحدة لا من اللغة الافغانية ولا من اللغة الكردية ولا يعرف

انه يعلم بأن اباه كان افغاني الاصل وامه كردية الاصل ولكني لا اشك
في انه لا يعلم مطلقاً ما اذا كانت بلاد الافغان تقع في شرقي
العراق ام في جنوبه ، وهو لذلك ما اعتقد لم يسافر الى ابعد
من الرطبة — اذا اعتبرناها من المدن — وبعد فاود ان اسألكم
ج: هل تعتبرون هذا الانسان افغانياً ام كردياً ام عربياً ؟
ج: اما انا فلا يمكن الآن ان اعتبره عربياً وان اجمع علماء الانثروبولوجيا
على انه من جنس يختلف كل الاختلاف عن الجنس الذي يدخل ضمنه العرب
في الاصطلاح .

د. هذا وجه واحد من اوجه القضية ، وهو الذي بنينا عليه بحثنا المتقدم
في طريقة النسب المتبعة عند نسبة الابن الى الاب فقط وانتم اعلم
مني بأن هذه الطريقة في النسب لم تكن الطريقة الوحيدة لدى البشر في
جميع ادوارهم التاريخية ، فقد مرّ زمن على البشرية كانت الامومة هي المعول
عليها في الانساب . وقد اصابت الدنيا ذلك الوجه في زمن مضى من التاريخ .
فعلماء البيولوجيا (علم الحياة) وعلماء الامبريولوجيا (علم الاجنة)
ولا سيما الاخيرين منهم لا يقرون هذه الطريقة المتبعة الآن لدى الناس
في نسبة الابن الى ابيه فقط اذ هم يعتبرون الولد ابن ابيه وامه
بالتساوي ، ذلك لان الانسان ينمو من بويضة مخصبة تحوي
على ثمانية واربعين (كروموسوما) نصفها من الذكر والنصف الآخر من الانثى
وهذه (الكروموسومات) هي التي تحمل صفات الوراثة من جيل الى جيل ،
وعلى ذلك فاذا تزوج رجل ينتمي الى سلالة اصيلة من امرأة تنتمي الى
سلالة اصيلة اخرى فالنتاج بنظرهم لا يمكن أن يكون من سلالة نقية ،
بينما يلحق الناس اليوم الولد بابيه وبحسب ذلك ينتسب الى سلالة
واحدة فقط . ومن هذا يفهم ان نقاوة السلالة او الجنس او القوم
لا يمكن اعتبارها صحيحة اذا اخذ بنظر الاعتبار تسلسل الآباء فقط .

وبهذا الاعتبار لو افترضنا ان عربياً نقياً تزوج من امرأة غير عربية وصار ابناؤه جيلاً بعد جيل لا يتقيدون بنقاوة في جنس زوجاتهم، فلا شك ان تلك النقاوة المفترضة تفقد ميزاتها بصفة اجمالية — ان لم تكن في الجيل الثاني — فتصبح النقاوة على هذا الاساس اعتبارية اكثر من كونها حقيقية. فمن ذلك كله يتضح ان نقاوة الجنس في المناطق الكائنة في طريق الغزوات التاريخية الكبرى او الهجرات العامة وفي المدن الكبيرة حيث يتوطنها مختلف الاجناس البشرية متعذرة من الوجهة العلمية لاسباب متعددة.

وقد يكون من المفيد ان نشير الى بعض الحقائق التي توصلت اليها البعثة المشتركة الموفدة الى كيش — بالقرب من الحلة — من قبل متحف التاريخ الطبيعي في شيكاغو وجامعة اكسفورد في لندن سنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨ وقد قامت هذه البعثة بالاضافة الى الاعمال التنقيبية للآثار القديمة بفحوص انثروبولوجية، ففحصت جميع جنود معسكر الحلة وقسماً من سكان منطقة [illegible] كيش، وقد توصلت الى نتائج علمية دقيقة نذكر منها على سبيل المثال انها وجدت آثاراً غير قليلة للسلالة المغولية بين سكان منطقة كيش، غير انها لم تكن بالدرجة التي تمكن للعلماء معها ان يجزموا بانها آثار مغولية بحتة. وقد شوهد واحد من هؤلاء لم يشك بانه كان منحدراً من اصل صيني بحت. غير ان تاريخ هذا الشخص كان مع ذلك يشير الى انه ينتسب الى قبيلة عربية اصيلة. وقد شوهد آخر من هؤلاء يشبه شكل هندي امريكي. وكان آخر تدل تقاطيعه على انه منحدر من سلالة تقطن بالقرب من بحيرة بيكال الواقعة في جمهورية منغوليا السوفياتية. كما ان البعثة المذكورة وجدت آثاراً واضحة من السلالات الافريقية بين تلك المجموعة التي اجرت عليها الفحص.

فهنالك اذن اعتبارات اخرى تلعب الدور الرئيسي في قضية القوميات ونعتقد بأن اللغة اهمها، وعلى ذلك فيصبح من المعتقد القوي من قومية

هذا الشخص وذلك الا باللغة والبيئة والثقافة القومية ، فالعربي يصبح بالنظر لهذه العوامل الشخص الذي يتكلم اللغة العربية كلغة اصلية ويعيش في محيط عربي ولا يدعي الانتساب الى قومية غير القومية العربية .

وبعد ذلك كله نعود الى نسب المرحوم الرصافي . فالرصافي كما روى هو عن نفسه انما ولد في بغداد من اب كردي وام عربية وترعرع في بيئة عربية . وقد روى كذلك عن نفسه انه كثير الارتباط بامه فابوه كان يخرج الى « الوظيفة » بمفرده ولم يكن يقضي اوقاته في بغداد الا نادرا ولذلك فصلة الرصافي بابيه كانت غير وثيقة في عهد طفولته وشبابه ، كما ذكر ، اما في عهد دراسته فقد انغمر في محيط عربي وتثقف بثقافة عربية بحتة ، فقد خلبت اللغة العربية لبه وتغلغلت في اعماق نفسه ، بالاضافة الى ملكة الشعر العربي التي ملكت ناصيتها ، تلك الملكة التي تجعله يعيش في محيط بغداد الذي ينقله الى قدمه الى صميم العروبة وادوارها الذهبية الماضية ، حتى صار يعتقد بانه ـ وهو كما هو حق ـ شاعر العرب المجيد . وليس الرصافي وحده هو الذي قد انفرد في هذه النفسية فعد نفسه من صميم العرب وان كان من اب غير عربي ، وانما المرحوم جميل صدقي الزهاوي كان يحمل تلك النفسية ايضا ، مع ان نسبه غير العربي كان اكثر وضوحا من نسب الرصافي غير العربي ، فقد كان يعتقد بانه شاعر عربي كما قال في نفسه :

تملى الملوك والجمهور مستمع

قصيدة لفظها كالدر منسجم

لشاعر عربي غير ذي عوج

كأن الفصاحة منه تستمد الكلم

ذلك القول الذي لابد من ان يكون اسناده الى الرصافي قد جاء سهوا في كتابكم .

فيقول المرحوم الزهاوي « شاعر عربي غزير الموج » هو من قصيدة أنشدها في سوق عكاظ ببغداد سنة ١٩٢٢ وأثبتها في الصفحة السادسة والستين من ديوان « اللباب » بعنوان « رثاء العلم »

فلهذه الاعتبارات كلها أرى أن المرحوم الرصافي عربياً في بيئته، عربياً في لغته، عربياً في ثقافته. ومما لا شك فيه أنه « عربي النجار » وإن كان قد انتسب الى أب كردي.

وبعد أرجو أن أكون قد حققت رغبة أستاذي الأجل في تفسير ما طلب مني تفسيره. وكل ما أتمناه أن يكون الخطأ فيه أقل من الصواب وحسبي من تنزه عن الخطأ والسلام عليكم من تلميذكم المخلص

كامل الجادرجي